

العنوان:	حروف العطف ووظائفها النحوية والدلالية : دراسة تطبيقية في الربع الأول من القرآن الكريم
المؤلف الرئيسي:	محمد، عطا المنان، عبد الله
مؤلفين آخرين:	هاشم، البشري السيد محمد(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2000
موقع:	أم درمان
الصفحات:	1 - 209
رقم MD:	661865
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة أم درمان الاسلامية
الكلية:	كلية اللغة العربية
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	الحروف العربية، حروف العربية، حروف الجر، النحو ، القرآن الكريم
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/661865

البَابُ الثَّالِثُ

بقية حروف العطف

الفصل الأول

الفاء

دلالة الفاء العاطفة

قال ابن مالك :-

(الفاء) للترتيب باتصال (وثم) للترتيب بانفصال

الفاء من حروف العطف ، وهي أكثرها استعمالاً بعد الواو إذ أنها تمثل ٧,٧٨% من حروف العطف و ٢,٣٢% من جملة الحروف (١) .

قال سيبويه في التمييز بين الواو والفاء: ((والفاء وهي تضم الشيء إلى الشيء ، كما فعلت الواو، غير أنها تجعل ذلك متسقاً بعضه في إثر بعض، وذلك نحو قولك: مررتُ بعمر و فزيد فخالد ، وسقط المطر بمكان كذا وكذا، فمكان كذا وكذا، وإنما يقرأ (٢) أحدهما بعد الآخر)) (٣) .

قال ابن السيرافي عن الفاء: (الفاء التي للعطف من شأنها أن يكون المعنى الذي اشترك فيه المعطوف ، والمعطوف عليه حاصلًا للمعطوف بعد حصوله للمعطوف عليه، بلا مهلة فصل، ويكون حصوله للثاني عقيب حصوله للأول ، نحو قولك: زيد أتيتك فمحدثك، أي يحصل الحديث من قبلي بعد إتيانه بلا فصل، ولا يجوز أن يكون الحديث الذي أخبرت به عنه حصل قبل الإتيان، ولا في الحال التي حصل فيها الإتيان، وإذا أردت أن تخبر عن شخص من الأشخاص بخبرين، هما حاصلان له في حالة واحدة، لم يجز أن تعطف أحدهما على الآخر بالفاء، لأنهما حاصلان في زمن واحد، والفاء توجب أن زمان أحدهما بعد زمان الآخر، فإذا أدخلت الفاء فسَدَ معنى الكلام) (٤) .

وهذا الكلام - في رأي - يعد تعريفاً جامعاً مانعاً، وخلاصته ما يلي:

(١) التراكيب الشائعة في اللغة العربية ، ص ١٦١ .

(٢) يقرأ: أي يتبع؛ يعني المطر .

(٣) كتاب سيبويه ٤ / ٢١٧ .

(٤) شرح أبيات سيبويه، لابن أبي سعيد الحسن بن عبدالله بن المرزبان السيرافي، تحقيق د. محمد علي الريح ، ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م. مطبعة الفجالة الجديدة مصر ٢ / ١٠١ .

أولاً: أن يشترك المعطوف والمعطوف عليه في المعنى.
 ثانياً: أن يكون المعنى حاصلًا للمعطوف عليه أولاً.
 ثالثاً: أن يكون حصول المعنى للمعطوف عقب حصوله للمعطوف عليه مباشرة وبلا مهلة.

وقال المبرد عن الفاء: (الفاء توجب أن الثاني بعد الأول، وأن الأمر بينهما قريب، نحو: رأيت زيدا فعمراً، ودخلت مكة فالمدينة) (١).

ونقل ابن السراج عبارة المبرد، وأضاف إليها قوله: (فهي تجيء لتقدم الأول واتصال الثاني فيه) (٢).

هذا هو اتجاه نحاة البصرة، وتابعهم جمهور النحاة المتأخرين، وهم يقولون إن فاء العطف تدل على التشريك مع الترتيب والتعقيب.

وقال الكوفيون وعلى رأسهم الفراء: (إن الفاء لا تفيد الترتيب مطلقاً) (٣)، إذ رُبَّمَا أتى ما بعد الفاء سابقاً إذا كان في الكلام دليل سبق، فإذا عُدَّ الدليل لم يجز (٤).

استدل الكوفيون بقوله تعالى: ((وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ)) (٥).

قالوا: ((فالبأس في الوجود واقع قبل الهلاك، وهو في الآية مؤخر عنه)) (٦).

وفي آية البأس والهلاك ثلاثة تأويلات:

- ١- أنَّ الهلاك والبأس يقعان معاً، كما تقول: أعطيتني فأحسننت، فلم يكن الإحسان بعد الإعطاء ولا قبله، إنما وقعا معاً، فاستجيز ذلك..
- ٢- أن يكون المعنى: وكم من قرية أهلكناها فكان مجيء البأس قبل الإهلاك، وذلك على إضمار "كان".

(١) المقتضب للمبرد ١/ ١٤٨.

(٢) الأصول في النحو لابن السراج ٥٥/٢.

(٣) مغني اللبيب ١، ١٨٣.

(٤) الجني الداني ٦١ - ٦٤.

(٥) سورة الأعراف، آية ٤.

(٦) رصف المباني في شرح حروف المعاني، للإمام أحمد بن عبد النور المالقي، تحقيق د/أحمد محمد الخراط، ط ٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، دار القلم دمشق، ص ٤٤٠ - ٤٤١.

٣- وقد يكون (أهلكناها فجاءها) خبراً بالواو، أي: أهلكناها وجاءها البأس بيئاً^(١).

هذا ، ويستبعد أن الفاء لا تدل على الترتيب.

وقال الهروي في الأزهية : (إنّ الفاء في الآية بمعنى الواو، قالوا: لأنّ البأس لم

يأتها بعد الهلاك) .

وفي قوله تعالى: ((فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ))^(٢)

والاستعاذة قبل القراءة، والفاء تُفيد الترتيب، فلماذا قُدِّمت القراءة على الاستعاذة؟ قالوا:

الفعل يُعبر به عن الإرادة والمعنى: إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله. ومثله قول الله

تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ

وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ))^(٣) ، الوضوء سابق للصلاة وذِكْرُ بالفاء

بعدها، والمعنى: إذا أردتم القيام إلى الصلاة، والفاء باقية على موضعها من الترتيب

المعنوي.^(٤)

ويلاحظ أن الفاء في الآيتين السابقتين هي الفاء الجوابية الرابطة بين فعل الشرط

والجزاء، وهي غير فاء العطف، ولكنها تشترك معها في وظيفة الربط ودلالة الترتيب

والتعقيب. *

وخالفت الفاء الترتيب في قوله تعالى: ((فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِارِهِمْ

جَاثِمِينَ. فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ

النَّاصِحِينَ))^(٥).

وهنا يحكي القرآن الكريم قصة صالح عليه السلام مع قومه، فقدّم هلاكهم

بالرجفة على تولّيه عنهم، وقوله لهم ما قال ، وظاهر الترتيب أن يقدم ما أخره لأنّ

خطابه لقومه لا يقع بعد أن هلكوا وأصبحوا في ديارهم جاثمين. فخالفت الفاء ما

وضعت له من ترتيب المتعاطفات. وقد اختلف المفسرون في بيان سرّ مخالفة الفاء

للترتيب، وهناك قولان:

(١) معاني القرآن ، الفراء ١ / ٣٧١ ، ٣٧٢.

(٢) سورة النحل ، آية ٩٨.

(٣) سورة المائدة ، آية ٦.

(٤) الأزهية في علم الحروف، ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

(٥) سورة الأعراف ، آية ٧٨ ، ٧٩.

أحدهما: أنه تولى عنهم بعد أن ماتوا وهلكوا ويدل عليه قوله تعالى: ((فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِمِينَ)) فتولى عنهم، وتكون الفاء للتعقيب.

ثانيهما: أنه تولى عنهم وهم أحياء قبل موتهم وهلاكهم ويدل عليه أنه خاطبهم بقوله: ((قَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ))، وهذا الخطاب لا يليق إلا بالأحياء، فعلى هذا القول يحتمل أن يكون في الآية تقديم وتأخير، تقديره: فتولى عنهم، وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين. فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جائمين. وأجاب أصحاب القول الأول عن هذا بأنه خاطبهم بعد هلاكهم وموتهم توبيخاً وتقريعاً كما خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم الكفار من قتلى بدر.

ولا مانع من أن يكون تولى صالح - عليه السلام - وحديثه بعد وقوع الهلاك لقومه، فهو حديث نفس استبد بها الحزن والحسرة على ما صار إليه القوم، جرى على لسانه تعبيراً عما يعتل في صدره وليس بلام أن يكون الخطاب للأحياء. (١).

ومما وقع عليه قلب الترتيب بالفاء قوله تعالى في قصة المعراج: ((عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى)) (٢).

قال الفراء: ((كان المعنى: ثم تدلى فدنا، ولكنه جائز إذا كان معنى الفعلين واحداً، أو كالواحد، قدمت أيهما شئت، فقلت قد دنا فقرب، وقرب فدنا، وشتمني فأساء، وأساء فشتمني، لأن الشتم والإساءة شيء واحد)) (٣). وكان الفعلين مترادفان، بمعنى أن يعطف الشيء على نفسه. وقد ذكرت المعاجم في معاني التدلي: النزول من العلو، والقرب بعد العلو، والتواضع. وقد كان أنسب المعاني هنا هو النزول من العلو ليتناسب مع قوله تعالى: ((وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى)). وهذا يعني نزول جبريل عليه السلام ليدنو من الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان الظاهر أن يقال تدلى فدنا، إلا أن القرآن عدل إلى ما عليه النظم على سبيل القلب، والغرض من هذا القلب هو الإشعار بأن هذا الحدث قد أحاطت به خوارق العادات، فهو يجري في عالم الغيب، حيث لا يمكن تصور وقائعه على قياس ما يجري في عالمنا.

(١) من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم، الفاء، ثم، تأليف د. محمد الأمين الخضري، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص ٢٧، ٢٨.

(٢) سورة النجم، آية ٥-٩.

(٣) معاني القرآن للفراء، ٩٥/٣.

ومما خالف الترتيب في العطف بالفاء قوله تعالى: ((أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا)) (١)

إنَّ ما أصاب السفينة من تعيب مرتب على أمرين هما: أنَّ السفينة لمساكين، وأنَّ الملك سيأخذها غصباً. ولو روعي الترتيب لَقِيلَ: وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً، فأردت أن أعيبها، لكن النظم الحكيم عمد إلى تقديم إرادة العيب.

ومما اختصت به الفاء أنها تعطف المفصل على المجل مع اتحادهما معنى نحو قوله تعالى: ((فَازْلِهَما الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ)) (٢) ونحو: ((فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً)) (٣) .
ونحو: ((فَعِيمَتَ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ)) (٤) .

وقد يعطف بها لمجرد الترتيب في الجمل نحو: ((فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ . فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ)) (٥) ونحو: ((لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ)) (٦) .

وقد يعطف بها لمجرد الترتيب في الصفات، نحو قوله تعالى: ((لَاكِلُونِ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ . فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ . فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ)) (٧)

الفاء العاطفة تفيد ثلاثة أمور:

أولاً: الترتيب، وهو نوعان:

أ/ ترتيب معنوي؛ أي ترتيب في المعنى أي أن يكون المعطوف بها لاحقاً متصلاً بلا مهلة، نحو قوله تعالى: ((الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ)) (٨) ونحو قولك : قام زيدٌ فعمروُ.

(١) سورة الكهف ، آية ٧٩ .

(٢) سورة البقرة، آية ٣٦ .

(٣) سورة النساء ، آية ١٥٣ .

(٤) سورة القصص ، آية ٦٦ .

(٥) سورة الذاريات، آية ٢٦، ٢٧ .

(٦) سورة ق ، آية ٢٢ .

(٧) سورة الواقعة ، آية ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ .

(٨) سورة الانفطار، آية ٧ .

ب/ ترتيب ذكرى، أي ترتيب في الذكر، وهو نوعان: أحدهما عطف مفصل على مجمل، نحو قولك: توضأ، فغسل وجهه ويديه، ومسح برأسه ورجليه، ونحو قوله تعالى: ((وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي))^(١) ونحو قوله تعالى: ((فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً))^(٢).

وثانيهما عطف لمجرد المشاركة في الحكم بحيث يحسن الواو في محلها، مثل قول امرئ القيس:

فَقَا نَبِكْ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ بِسَقَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمِلٍ

ثانياً: التعقيب، وهو في كل شيء بحسبه. فالزمان الواحد يرى طويلاً باعتبار، وقصيراً باعتبار آخر، (وإذا كان حرفا التعقيب والمهلة يمثلان حركة الزمن، ويجسدان خطواته في بطنها وإسراعها، فإن مقياس الزمن في لغتنا الشاعرة إحساس قبل أن يكون حركة عقارب، وخفقات شعور قبل أن يكون دقائق ساعة، فكم يقصر زمن في عين هو طويل في عين سواها! وكم يضمّر الزمن في لحظات الأنس والسعادة و يتمطى في ساعات الألم والشدائد ولحظات الترقب والانتظار!!)^(٣).

((هناك فرق بين التعبير عن حقيقة الزمن المتمثل في المعاني الوضعية، لفاء و"ثم". ولقد عبّر القرآن الكريم عن حقيقة الزمن في قصة أهل الكهف، فجاء حرف المهلة (ثم) ليومئ إلى ثلاثمائة سنة أو تزيد^(٤)))، وذلك في قوله تعالى: ((فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا، ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا))^(٥) ثم ترى هذا الزمن الطويل الذي جسده حرف المهلة بحقيقة التراخي فيه، ضمّر وانكمش في تعبير أهل الكهف عن إحساسهم (قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم..)^(٦).

نعود مرة أخرى إلى التعقيب والفاء؛ والآن يمكنك أن تتأمل العبارات الآتية:

- مُطَرْنَا مَكَانَ كَذَا فَمَكَانَ كَذَا - إذا كان وقوع المطر فيهما في وقت واحد.

- قَامَ زَيْدٌ فَعَمِرُوا - ترتيب في المعنى يكون المعطوف لاحقاً بلا مهلة.

(١) سورة هود، آية ٤٥.

(٢) سورة النساء، آية ١٥٣.

(٣) من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم، ١٠ - ١١.

(٤) المرجع السابق، ١١، ١٢.

(٥) سورة الكهف، آية ١١ - ١٢.

(٦) سورة الكهف، آية ١٩.

- دخلت مكة فالمدينة، المسافة بينهما ٤٣٥ كيلو متراً تقريباً، وهنا تستغرق المهلة بالسيارة حوالي أربع ساعات.

- تزوج فلان فولد له ، المهلة هنا تستغرق حوالي تسعة أشهر.

ثالثاً: السببية، وذلك غالباً تكون في العاطفة جملة أو صفة، فالأول نحو قوله تعالى: ((فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ))^(١) ونحو ((فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ))^(٢) والثاني نحو ((لَاكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ. فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ. فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ))^(٣).

وقال الزمخشري: للفاء مع الصفات ثلاثة أحوال:

أحدها: أن تدل على ترتيب معانيها في الوجود، كقول الشاعر^(٤):

يَا لَهْفَ زِيَابَةَ الْحَارِثِ قَالَ صَّابِحَ فَالْغَائِمِ فَالْإِيْبِ

أي الذي صبح فغيم فآب.

والثاني: أن تدل على ترتيبها في التفاوت من بعض الوجوه، نحو: خُذِ الْأَكْمَلَ فَالْأَفْضَلَ، واعمل الأحسن فالأجمل.

والثالث: أن تدل على ترتيب موصوفاتها في ذلك نحو قولك (رَحِمَ اللهُ الْمُحَلِّقِينَ فَالْمَقْصَرِينَ)^(٥).

((وذهب قوم ، منهم ابن مالك إلى أن "الفاء" قد تكون للمهلة بمعنى (ثم) ، وذلك نحو قوله تعالى: ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً))^(١) ، وقيل: (فتصبح) معطوف على محذوف، تقديره: أنبتنا به، فطال النبات، فتصبح، وقيل: هي للتعقيب، وتعقيب كل شيء بحسبه))^(٧).

دلالات أخرى للفاء غير العطف

ذكر النحاة استعمالات أخرى للفاء غير العطف، منها:

(١) سورة القصص ، آية ١٥.

(٢) سورة البقرة ، آية ٣٧.

(٣) سورة الواقعة ، آية ٥٢، ٥٣، ٥٤.

(٤) البيت لابن زبابة 'سلمة بن ذهل' وزبابة أمه وهو شاعر جاهلي كانت بينه وبين الحارث بن همام تحديات (خزانة الأدب ٥/ ١١٢ ، ١٢٤) .

(٥) مغني اللبيب، لابن هشام ١/ ١٨٣ - ١٨٥.

(٦) سورة الحج آية ٦٣.

(٧) الجنى الداني في حروف المعاني، ص ٦٢.

١- أن تكون استئنافاً يستأنف بها الكلام، وذلك نحو قوله تعالى: ((فَلَا تَكْفُرْ . فَيَتَعَلَّمُونَ)) ^(١) ، أي : فهم يتعلمون . وإذا كانت للعطف لقال (فيتعلموا) . ونحو ((كن فيكون)) ^(٢) يعني فهو يكون .

وقال الحطيئة ^(٣)

يُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمَهُ
وَلَمْ يَزَلْ مِنْ حَيْثُ يَأْتِي يَحْرِمُهُ
رفع (فيعجمه) على الاستئناف والقطع عن الأول، أي فإذا هو يعجمه، لأنه لا يريد الإعجام . ^(٤)

٢- أن تكون زائدة للتوكيد في خبر كل شيء يحتاج إلى صلة ^(٥) ، وذلك نحو قوله تعالى: ((قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ)) ^(٦) ونحو ((وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ)) ^(٧) ، ونحو ((الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ)) ^(٨) .

وجاءت الفاء زائدة في قول الشاعر ^(٩) :

لَا تَجْزَعِي إِنْ مُنْهَسِياً أَهْلَكَتَهُ
وَإِذَا هَلَكْتَ فَعِنْدَ ذَلِكَ فَاجْزَعِي
كما جاءت زائدة في قول امرئ القيس:
فَمَتْلُكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقَتْ وَمَرَضِ
فَالْهَيْتَهَا عَنْ ذِي تَمَائِمَ مَحُولٍ
وقيل: (عن ذي تمائم مغول).

(١) سورة البقرة ، آية ١٠٢ .

(٢) جاء ذلك في ستة مواضع: البقرة/ ١١٧ ، آل عمران/ ٤٧ ، النحل/ ٤٠ ، مريم/ ٣٥ ، يس/ ٨٢ ، غافر/ ٦٨ .

(٣) هو جرول بن أوس العبسي ، لقب بالحطيئة لقصره . وهو شاعر مخضرم ، اشتهر بالهجاء ، فسجنه عمر ابن الخطاب ثم رق عليه فأخرجه ، ونهاه عن هجاء الناس ، مات سنة خمس وأربعين للهجرة . (الشعر والشعراء ج ٣ لابن قتيبة ص ٢٣٨ - ٢٤٥)

(٤) انظر كتاب الأزهية ، ٢٤١ ، ٢٤٢ .

(٥) انظر المرجع السابق ، ٢٤٦ .

(٦) سورة الجمعة ، آية ٨ .

(٧) سورة النحل ، آية ٥٣ .

(٨) سورة البقرة ، آية ٢٧٤ .

(٩) هذا البيت للنمر بن تولب يجيب امرأته وقد لامته على التبذير عندما جاء إليه ضيوف وذبح لهم أربع قلائص . كان الشاعر جاهلياً ، وأدرك الإسلام فأسلم . لاتجزعي: لا تخافي . منفس: المراد به هنا المال الكثير . أهلكته: أراد أنفقته . هلكت: مت . (الشعر والشعراء ج ١ ص ٢٢٧ ، ٢٢٨) .

٣- تكون مع "إذا" التي للمفاجأة، كقولك (خرجتُ فإذا زيدٌ قائمٌ) وتكون في جواب "إذا" التي بمعنى الجزاء، كقولك (إذا قام زيدٌ فقم معه) .

وتكون لجواب الجملة، كقولك (زيد قائم فقم إليه) . (وهذا أخوك فِكَلِمَةٌ) .

٤- الفاء الدالة على السببية، ولا تسمى (فاء السببية) إلا إذا دخلت على مضارع منصوب (بأنَّ المصدرية) المضمره التي تنصبه بشروط معينة. والفاء الدالة على السببية أن يكون المعطوف بها متسبباً عن المعطوف عليه ، ويغلب هذا في شيتين، عطف الجمل نحو: رمى الصياد الطائر فقتله . وفي المعطوف المشتق، نحو: أنتم - أيها الجنود - واتقون بأنفسكم ، فهاجمون على عدوكم، فمنتصرون عليه .^١

ومن المواضع التي استعمل فيها القرآن الفاء الدالة على السببية في عطف جملة على جملة، قوله تعالى: ((فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ))^(١) فالفاء الواردة في قوله (فتاب عليه) ، دالة على السببية .

وقوله تعالى: ((فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ))^(٢) وقوله تعالى: ((فَاسْتَعَاذَهُ))^(٣) الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكره موسى فقصى عليه^(٣) فالفاء الواردة في قوله (فقصى عليه) ، دالة على السببية .

وقوله تعالى: ((وَآتَىٰ عَلَيْهِمُ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ، فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ))^(٤) وهي الفاء الواردة في قوله تعالى (فاتبعه الشيطان)، دالة على السببية^(٥) .

٥- الفاء الجوابية، أن تكون رابطة للجواب، وذلك حيث لا يصلح أن يكون شرطاً، وهو في ست مسائل^(٦) .

إحداها: أن يكون الجواب جملة اسمية نحو ((وَإِنْ يَمَسَّكَ يَخْيِرْ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))^(٧) ونحو ((إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ))^(٨) .

(١) سورة البقرة ، آية ٣٧ .

(٢) سورة الأعراف ، آية ٦٤ .

(٣) سورة القصص، آية ١٥ .

(٤) سورة الأعراف ، آية ١٧٥ .

(٥) مغني اللبيب ١/ ١٨٥ .

(٦) المرجع السابق ١/ ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٧) سورة الأنعام ، آية ١٧ .

(٨) سورة المائدة ، آية ١١٨ .

الثانية: أن تكون فعلية كالاسمية ، وهي التي فعلها جامد نحو ((إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ))^(١) ((وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا))^(٢) .
الثالثة/ أن يكون فعلها إنشائياً نحو ((قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ))^(٣) .

الرابعة/ أن يكون فعلها ماضياً لفظاً ومعنى، نحو ((إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ))^(٤) ونحو ((إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ قَبْلُ فَصَدَقْتَ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ))^(٥) .
الخامسة/ أن تقترن بحرف استقبال نحو ((مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ))^(٦) .

السادسة/ أن تقترن بحرف له الصدر، كقول الشاعر^(٧)

فَإِنْ أَهْلَكَ قَذِي لَهَبٍ لَهَابُهُ
عَلَيَّ تَكَادَ تَلْتَهَبُ النَّهَابُ

لما عرفت من أن ربَّ مقدرة، وأن لها الصدر.

٦- استعارة الفاء بمعنى الواو . :

تستعار الفاء بمعنى الواو، وذلك كقول امرئ القيس
رَقَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ
بَسِطِ اللَّوَى بَيْنَ الدُّخُولِ فَحَوْمِلِ
قيل أراد : بين الدخول وحومل^(٨)

الفاء الفصيحة

هناك ما يسمى بالفاء الفصيحة، وهي الفاء المذكورة في الكلام والتي تعطف ما بعدها على الفاء المحذوفة مع معطوفها. وذلك نحو قوله تعالى: ((وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذْ

(١) سورة البقرة ، آية ٢٧١ .

(٢) سورة النساء ، آية ٣٨ .

(٣) سورة آل عمران ، آية ٣١ .

(٤) سورة يوسف ، آية ٧٧ .

(٥) سورة يوسف ، آية ٢٦ .

(٦) سورة المائدة ، آية ٥٤ .

(٧) الشاعر أبو ربيعة بن مقروم الضبي، من ضبّة، شاعر مخضرم ، شهد القادسية وجولاء، وهو من شعراء مضر المشهورين. وكانت عبد القيس أسرته ثم أطلقت بعد ذلك (الشعر والشعراء ١/ ٢٣٦ ، ٢٣٧) .

(٨) الأزهية ، ٢٤١ - ٢٤٨ .

استسقاء قومهُ أَنْ اضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا^(١) الأصل: فاضرب فانبجست، فحذفت الفاء مع معطوفها وفهم المعنى لأنها أفصحت عنه. ولذلك سُميت بالفاء الفصيحة.

ومثله قوله تعالى: ((فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ))^(٢)، أي: فاضرب فانفلق . ((ومن الواضح أن انفجار الحجر وانفلاق البحر، مرتبان في الظاهر على الضرب بالعصا، لا على الأمر بالضرب. وهذا دليل على ارتباط الأثر بالمؤثر الظاهر وهو الضرب. وإن انفجار الحجر وانفلاق البحر، كانا في حقيقةً مطاوعة لأمر الله تعالى، لا تأثراً بضرب العصا، وليس للعصا قدرة ذاتية تتميز بها عن غيرها من العصي. وهذا الحذف يدل على سرعة سيدنا موسى لتلبية ربه^(٣))).

ومن أمثلة الفاء الفصيحة قوله تعالى: ((وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا))^(٤) أي: فاضرب فانفجرت. وقوله تعالى: ((قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ، وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ، قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ، فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى))^(٥). الفاء في (فإذا حبالهم وعصيهم) مفصحة عن سبب محذوف تقديره: فآلقوا.

ومنه قوله تعالى: ((فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ))^(٦) أي: فقفقوه في النار. فأنجاه الله من النار وذلك لأن الإنجاء أعقب القذف في النار.

ومن ذلك قوله تعالى: ((وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤَنِّي بِهِ اسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدِينَا مَكِينٌ أَمِينٌ))^(٧). والمحذوف: (فأتوا به).

(١) سورة الأعراف ، آية ١٦٠.

(٢) سورة الشعراء، آية ٦٣.

(٣) من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم ٧٥ - ٧٦.

(٤) سورة البقرة ، آية ٦٠.

(٥) سورة طه ، آية ٦٥، ٦٦، ٦٧.

(٦) سورة العنكبوت ، آية ٢٤.

(٧) سورة يوسف ، آية ٥٤.

ومنه قوله تعالى: ((فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ))^(١)،
تقدير المحذوف: (فأفطر فعدة).

وقوله تعالى: ((فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ))^(٢) . إذ التقدير: فخلق ففدية .

ومنه قوله تعالى: ((قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ))^(٣) ، في
قوله تعالى (فذبحوها) قدره الزمخشري: (فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الأوصاف كلها
فذبحوها)^(٤) .

الفاء في الربع الأول من القرآن الكريم

وردت الفاء في (٧٤٣) موضعاً في الربع الأول من القرآن الكريم، وفيما يلي
أقدم جدولاً يوضح :

ورودها في كل سورة من سور الربع الأول.

اسم السورة	عدد مرات ورود حرف الفاء
الفاتحة	—
البقرة	٢٦٠
آل عمران	١١١
النساء	١٧٧
المائدة	١٠٨
الأنعام	٨٧
المجموع الكلي	٧٤٣

(١) سورة البقرة ، آية ١٨٤ .

(٢) سورة البقرة ، آية ١٩٦ .

(٣) سورة البقرة ، آية ٧١ .

(٤) الكشف ٢٨٨/١ .

ملاحظات حول استعمال الفاء في الربع الأول من القرآن الكريم

لاحظتُ أن الفاءات التي وردت في الربع الأول من القرآن الكريم، تأتي أحياناً للترتيب، ومرة عكس الترتيب، وتارة للاستئناف، وأخرى للسببية، ومرة تكون مقحمة، وأحياناً تكون فصيحة.

وفيما يلي أقدم بعض الآيات من الربع الأول التي تحمل هذه الدلالات. خالفت الفاء الترتيب وذلك في قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ))^(١) والوضوء سابق للصلاة وذكرت الفاء بعدها، والمعنى إذا أردتم القيام إلى الصلاة، والفاء باقية على موضعها من الترتيب المعنوي. وقد مر الكلام عن هذه الآية الكريمة.

وهناك ما يفيد الترتيب الذكري - عطف مفصل على مجمل - نحو قوله تعالى: ((فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً))^(٢).

وهناك الفاء الدالة على السببية في عطف جملة على جملة، نحو قوله تعالى: ((فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ))^(٣) وهي الفاء الثانية التي في قوله (فَتَابَ عَلَيْهِ).

وجاءت الفاء في هذا الربع للاستئناف نحو قوله تعالى: ((فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ))^(٤) ، أي: فهم يتعلمون، وإذا كانت للعطف لقال: (فيتعلموا)، كما مر ذلك .

وتكون الفاء مقحمة كما في قوله تعالى: ((الَّذِينَ يَنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ))^(٥) أي: (لهم أجرهم عند ربهم).

وفي هذا الربع ، وردت الفاء الجوابية ، نحو قوله تعالى: ((وَإِنْ يَمَسُّكَ بُخَيْرٌ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))^(٦) ونحو ((إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ

(١) سورة المائدة، آية ٦.

(٢) سورة النساء ، آية ١٥٣.

(٣) سورة البقرة ، آية ٣٧.

(٤) سورة البقرة ، آية ١٠٢.

(٥) سورة البقرة ، آية ٢٧٤.

(٦) سورة الأنعام ، آية ١٧.

العزیزُ الحَکیمُ)) (١) والجواب هنا جملة اسمية. والجواب جملة فعلية في قوله تعالى: ((إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ)) (٢) ونحو ((وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا)) (٣) .

وقد وردت الفاء الفصيحة في هذا الربع، في سورة البقرة، قوله تعالى: ((وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا)) (٤) أي: فضرب فانفجرت، وقوله تعالى: ((فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ)) (٥) أي: فأفطر فعدة .

وما تقدّم من آيات كريمة كان على سبيل المثال - لا الحصر - ويكفي أن نقول إن الفاء وردت في هذا الربع ثلاثاً وأربعين وسبعمئة مرة ، وفي كل مرة تحمل دلالات مختلفة ، والله أعلم .

وقبل أن تنتقل إلى فصل آخر ينبغي أن نجيب عن السؤال الذي كان في المقدمة؛ لماذا عطف الله سبحانه وتعالى المضغة على العلقة بالفاء في الآية الكريمة ((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفًا فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً)) (٦) . ولماذا كان عطف المضغة على العلقة بـ (ثم) في الآية الكريمة ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ)) (٧) .

والجواب عن هذا السؤال، فقالوا: إن الفاء تقع تارة بمعنى (ثم) ، ومــــنــــه قوله تعالى: ((ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمَضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا)) (٨) فالفاءات في فخلقنا العلقة مضغة ، وفي فخلقنا المضغة

(١) سورة المائدة ، آية ١١٨ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٧١ .

(٣) سورة النساء ، آية ٣٨ .

(٤) سورة البقرة ، آية ٦٠ .

(٥) سورة البقرة ، آية ١٨٤ .

(٦) سورة المؤمنون ، آية ١٢ ، ١٣ ، ١٤ .

(٧) سورة الحج ، آية ٥ .

(٨) سورة المؤمنون ، آية ١٤ .

وفي فكسونا العظام بمعنى (ثم) ، لتراخي معطوفاتها ^(١) ، وذلك لوجود مدة من الزمن في الخلق ما بين المضغة والعلقة ، والله أعلم .

(١) مغني اللبيب ، ١ / ١٨٤ . والمساعد على تسهيل الفوائد ، ابن عقيل ، ٤٤٨ / ٢ .

الفصل الثاني ثُمَّ

دلالة (ثم):

قال ابن مالك:

و(الفاء) للترتيب باتصال و(ثم) للترتيب بانفصال

(ثُمَّ) حرف عطف يفيد التشريك، والترتيب، والمهلة، فامتازت عن الواو بالترتيب والمهلة، وعن الفاء بدلالاتها على التراخي.

قال سيبويه (مررتُ برجل راكب وذهب، استحقهما، لا لأنَّ الركوب قبل الذهاب، ومنه: مررت برجل راكب فذهب، إلا أنه يبين أن الذهاب بعد الركوب، وأنه لا مهلة بينهما، ومنه: مررتُ برجل راكب ثُمَّ ذاهب، فيبين أن الذهاب بعده، وأن بينهما مهلة، وجعله غير متصل به، فصيّره على حدة^(١)).

والاتصال الذي يقصده سيبويه، هو اتصال زمن المعطوف بزمن المعطوف عليه في الفاء، وانقطاعه في حرف التراخي.

وقال سيبويه أيضاً (مررت بزيد فعمر، ومررت برجل فامرأة، فالفاء أشركت بينهما في المرور، وجعلت الأول مبدوءاً به. ومن ذلك: مررت برجل ثم امرأة، فالمرور ههنا مروران. وجعلت (ثم) الأول مبدوءاً به وأشركت بينهما في الجر)^(٢).

ويقول المرادي في تحديد دلالة (ثم): (حرف عطف يشرك في الحكم، ويفيد الترتيب بمهلة، فإذا قلت: قام زيد ثم عمرو، أذنت بأن الثاني بعد الأول بمهلة)^(٣). هذا مذهب البصريين والجمهور، وما أوهم خلاف ذلك تأولوه.

وزعم بعض العلماء - منهم قطرب - أن "ثم" لا تفيد الترتيب، وإنما تكون بمنزلة الواو، واستدلوا على ذلك بالآيات الكريمة الآتية:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾^(٤) والأمر بالسجود

كان قبل خلقنا.

(١) الكتاب لسيبويه ٢١٣/١.

(٢) الكتاب لسيبويه ٢١٨/١.

(٣) الجني الداني ٤٢٦.

(٤) سورة الأعراف، آية ١١.

وقوله تعالى: ((خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا)) (١) . ومعروف أن جعل زوج آدم منه إنما كان قبل خلقنا.

دوالأمر بالسجود كان قبل خلقنا، وفي الإجابة عن الإشكال ثلاثة أقوال للعلماء. أحدها : إن التقدير ولقد خلقنا أباكم آدم وصورناه ثم قلنا للملائكة اسجدوا له. والثاني: إن الترتيب وقع هنا في الخبر، وهذا كقولك: لقيت اليوم زيدا فقلت له كذا وكذا، ثم إنني قلت له كذا وكذا.

الثالث: إن (ثم) هنا وقعت موقع الواو لاشتراكهما في العطف. (٢) أما قوله (ثم جعل منها زوجها) ، فقيل إن الفعل (جعل) معطوف على ما في (واحدة) من معنى الفعل كأنه قال من نفس وحدت، أي أفردت، ثم جعل منها زوجها (٣) ، وفي رأيي هذا تعسف .

وجاء في مغني اللبيب الجواب عن الآية ((خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا)) (٤) من خمسة أوجه :

أحدها: إن العطف على مخذوف، أي من نفس واحدة، أنشأها، ثم جعل منها زوجها. الثاني: إن العطف على (واحدة) على تأويلها بالفعل، أي من نفس توحدت، أي انفودت ثم جعل منها زوجها.

الثالث: إن الذرية أخرجت من ظهر آدم عليه السلام كالذر، ثم خلقت حواء من قصيراه .

الرابع: إن خلق حواء من آدم لما لم تجر العادة بمثله جئ بـثم إيذاناً بترتبه وتراخيه في الإعجاب وظهور القدرة، لا لترتيب الزمان وتراخيه.

الخامس: إن (ثم) لترتيب الأخبار لا لترتيب الحكم، وأنه يقال: (بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت أمس أعجب).

(١) سورة الزمر ، آية ٦.

(٢) كتاب معاني الحروف ، للرماني ، تحقيق د. عبدالفتاح إسماعيل شلبي ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ص ١٠٥ .

(٣) شرح جمل الزجاجي ١ / ٢٣١. وانظر كتاب شرح عيون الإعراب ، لعلي بن فضال المجاشعي ، ص ٣٧٣ .

(٤) سورة الزمر ، آية ٦.

والأجوبة السابقة أنفع من هذا الجواب، لأنها تصحح الترتيب والمهلة، وهذا يصحح الترتيب فقط؛ إذ لا تراخي بين الإخبارين، ولكن الجواب الأخير أعم، لأنه يصح أن يجاب به عن الآية (١).

وهناك كثير من النصوص وردت فيها (ثم) عاطفة ما رتبته التقدم في الوجود، فاختلقت في تفسيرها أقوال النحاة. يقول المالقي: (واختلف الكوفيون والبصريون من النحويين: هل تعطى رتبة أم لا تعطى؟ فذهب الكوفيون إلى عدم الترتيب واحتجوا بقول الشاعر أبي نواس:

إِنَّ مَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ ثُمَّ قَدْ سَادَ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُّهُ (٢)

والصحيح مذهب البصريين بدليل استقرار كلام العرب، أنها لا تكون إلا مرتبة، وما احتج به الكوفيون لأحجة فيه بوجهين: أحدهما أنه قد يحتمل أن يسود الوالدان بسيادة الولد، والجد بسيادة الوالد، وهذا موجود حساً، فلا يلزم أن تكون سيادة أحدهم قبل الآخر. والثاني أن تكون سيادة الجد قبل الوالد، والوالد قبل الولد، ولا يعلم المتكلم بالإخبار السيادة، فيخبر على نحو ما علم، لا على الأصل، وما احتمل لا حجة فيه (٣).

لقد حاول المالقي إيجاد وجه الترتيب الوجودي بجعل منشأ السيادة من الولد، ثم جاءت إلى الوالد ومنه إلى الجد.

ومن أحكام (ثم) أنها تجيء بمعنى الواو وقد علمنا إن الواو لمطلق الجمع، و(ثم) لعطف مقيد بالترتيب مع التراخي والمطلق داخل في المقيد فيثبت بينهما اتصال معنوي فيجوز استعمال (ثم) بمعنى (الواو) وذلك نحو:

قوله تعالى ((فَكُ رَقَبَةً أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ. يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ. أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ. ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا)) (٤)، ووجه الاستدلال أنه لما تعذر العمل هنا بحقيقة (ثم) - وهو الترتيب مع التراخي - لأن الإيمان هو الأصل المقدم الذي تبنى عليه سائر الأعمال الصالحة، فلا يكون فك رقبة والإطعام معتبرين قبله، كالصلاة قبل الطهارة. ومن هنا تكون (ثم) بمعنى (الواو).

(١) مغني اللبيب لابن هشام ١/ ١٣٦.

(٢) انظر الجني الداني ص ٤٢٨، مغني اللبيب ١/ ١٣٦، حروف المعاني، ص ٧٤، النحو الوافي ٣/ ٥٧٨.

(٣) رصف المباني، ص ٢٥٠.

(٤) سورة البلد، آية ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧.

ويمكن القول بأنَّ (ثم) هنا للترتيب والتراخي في الرتب لا في الزمان وجاءت لتباين المنزلتين، فهنا تراخي الإيمان ، وتباعد في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت لأن الإيمان هو السابق المقدم على غيره. ويمكن القول أيضاً بأنَّ (ثم) هنا لترتيب الأخبار لا لترتيب الوجود أي ثم أخبركم أن هذا لمن كان مؤمناً. وكذلك قوله تعالى: ((وَأَمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَّقِيَنَّكَ فَاِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ)) (١) . لقد تعدّر العمل هنا بحقيقة (ثم) لأنه - سبحانه وتعالى - شهيد على ما يفعلون قبل رجوعهم إليه كما هو شهيد بعد ذلك، فكانت (ثم) بمعنى الواو. ويمكن القول بأنَّ الله - سبحانه وتعالى - يكون قد ذكر الشهادة وأراد مقتضاها ونتيجتها، فكانه قال: ثم الله يعاقب على ما يفعلون ، أو مجاز على ما يفعلون (٢) .

وذكر ابن مالك أن (ثم) توضع موضع الفاء واستشهد بقول الشاعر (٣)

كَهَزُ الرُّدَيْنِيِّ تَحْتَ الْعَجَاجِ جَرَى فِي الْأَنْبَابِ ثُمَّ اضْطَرَبَ

والشاهد في البيت قوله (ثم اضطرب) حيث أفادت معنى الفاء ولم تفد التراخي، وذلك لأن اضطراب الرمح يعقبه اهتزاز أنابيبه من غير مهلة بين الفعلين. وأن الهز متى جرى في أنابيب الرمح يعقبه الاضطراب، ولم يترأخ عنه. وقيل بل الاضطراب والجري في زمن واحد، وإذا كانا في زمن واحد تكون بمعنى الواو (٤) .

ومن أحكام (ثم) أن يكون معطوفها تابعاً لما قبلها مباشرة من المعطوفات (بأن يكون المعطوف بها واقعاً على آخر معطوف عليه قبله)، مثل: قرأت الآية، والقصيدة، والخطبة، والرسالة ثم النشيد، ينبغي أن يكون النشيد معطوفاً بها على الرسالة. وأن يكون كل واحد من المعطوفات التي قبلها معطوفاً على الآية.

وذكر صاحب (٥) "رصف المباني" أن لـ (ثم) في الكلام موضعين:

(١) سورة يونس ، آية ٤٦ .

(٢) دور حروف العطف في استنباط الأحكام من مصادرها الشرعية ، تأليف د. دياب مليم محمد عمر ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م ، دار الهدى للطباعة ، مصر . ص ٩٦ ، ٩٨ .

(٣) الشاعر أبو داود الأيادي واسمه ((حارثة)) ويقال له جارية بن الحجاج الأيادي، وفي هذا البيت يصف فرسه وهو أحد نعاة الخيل المجيدين في العصر الجاهلي. الرديني: الرمح المنسوب إلى ردينة، وقيل هي امرأة اشتهرت بصنعها. العجاج: التراب الذي تثيره الخيول. الأنابيب: جمع أنبوبة وهي ما بين كل عقدتين من القصبة. (الشعر والشعراء ج ١، ابن قتيبة من ص ١٦١ - ص ١٦٢) .

(٤) مغني اللبيب ١/ ١٣٧، حروف المعاني ، ص ٧٣، الجني الداني ٤٢٧ .

(٥) رصف المباني ، ٢٤٩ / ٢٥٠ .

الأول: أن تكون حرف عطف، يعطف مفرداً على مفرد، وجملة على جملة.
 الثاني: أن تكون حرف ابتداء (إما أن تكون حرف ابتداء) على الاصطلاح، أي يكون بعدها، المبتدأ والخبر، وإما ابتداء الكلام، فالأول نحو أن تقول: أقول لك اضرب زيداً، ثم أنت تترك الضرب، ومنه قوله تعالى: ((قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ، ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ)) (١).

وابتداء الكلام كقولك: هذا زيد قد خرج ، ثم إنك تجلس، قال تعالى: ((فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ)) (٢) ثم قال بعد ذلك: ((ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ. ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ)) (٣).

وقيل لا يصح أنها حرف ابتداء، وإنما هي حرف عطف، والله أعلم.

الاستبعاد والترابي الرتبي

ومما يتعلق بـ (ثم) الاستبعاد والترابي الرتبي. وقد استطاع الزمخشري أن يفرق بين هذين الغرضين، وإن اختلفا على بعض من تابعه.

الاستبعاد : عنده هو التباعد بين أمرين يمتنع ترتيب ثانيهما على أولهما. والترابي الرتبي هو التفاوت بين المتعاطفين في المنزلة فيجعل المعطوف أرفع رتبة من المعطوف عليه، وهنا بُعد بين الأمرين اللذين من جنس واحد، وما بعد (ثم) أعلى مرتبة. وأبلغ مما قبلها، وليس في الأمرين تناقض ومنافاة كما في الاستبعاد الذي يكون فيه ما بعد (ثم) أمراً مستبعداً الوقوع بالنسبة لما قبلها.

والاستبعاد نحو قوله تعالى: ((يَوَدُّ الْمَجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ ذِي بَيْنٍ. وَصَاحِبِيهِ وَأَخِيهِ. وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤَيِّهِ. وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ)) (٤). قال الزمخشري: (ينجيه عطف على لو يفتدي، أي يود لو يفتدي، ثم لو ينجيه الافتداء، أو من في الأرض . و (ثم) لاستبعاد الإنجاء ، يعني تمنى لو كان هؤلاء جميعاً تحت يده، وبذلهم في خدمة نفسه، ثم ينجيه ذلك، وهيهات أن ينجيه) (٥). إن الاستبعاد هنا مفهوم

(١) سورة الأنعام ، آية ٦٤.

(٢) سورة المؤمنون ، آية ١٤.

(٣) سورة المؤمنون ، آية ١٥، ١٦.

(٤) سورة المعارج، آيات ١١، ١٢، ١٣، ١٤ .

(٥) الكشف ١٥٨/٤.

من قرائن أخرى، لا من المناقاة بين الافتداء والإنجاء ، إذ الشأن لو أن الافتداء قُبِلَ لكان سبيلاً إلى الإنجاء، والأمران من المحالات فهو لا يملك افتداء نفسه بمن ذكر من أهله وأهل الأرض جميعاً، والحاجز الذي أقامه الزمخشري بين الغرضين هو الاستبعاد.

أغراض الاستبعاد:

للاستبعاد غرضان: استبعاد تكذبي واستبعاد توبيخي.

الاستبعاد التكذبي يكون فيما لم يقع من الأفعال المستبعدة، لإنكار وقوعه وتكذيب من يدعيه، فيكون بمثابة دليل على غفلة المدعي وغياب وعيه. ونرى ذلك في قوله تعالى: ((مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالنَّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ))^(١) . وقد حشد القرآن الكريم في المقدمة من الأسباب ما يستحيل معه في حكم العقول والطباع أن ينتج ما ادعوه من ربوبية المسيح، فهو بشر، والبشرية تناقض الألوهية، وهو يتقلب في نعم الله تعالى التي يستحيل معها التمرد على المنعم، وما أوتيته من الكتاب شاهد على ذلك كله، والنبوة رسالة، ويستحيل أن يقع النبي في هذا الجهل الذي نُسب إليه. وجاءت (ثم) هنا لغرض الاستبعاد، ولتسفيه وتجهيل من ادعى ربوبية المسيح.

ومن أمثلة هذا الضرب في الاستبعاد لإنكار وقوع ما يتوهم وقوعه، قوله تعالى: ((يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِيذٍ بِبَنِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ . وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤَيِّسُ . وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ))^(٢) .

لقد أبرزت (ثم) الفرق الشاسع بين الأوهام والواقع، وجسدت بُعد نجات المجرم بعد أن أتى من ألوان الكفر ما استوجب معه أشد العذاب. وقد مهد القرآن لهذه النتيجة المؤلمة بألوان من المبالغة حيث علقها على محال، وهو افتداء النفس بأعز ما يملك من الأهل والأقربين ومن في الأرض جميعاً، وكأنه يقول له : حتى لو تحقق لك هذا المحال، وهو أن تقدم أهل الأرض جميعاً فداء لك وعتقاً من النار، فإن ذلك لن ينجيك،

(١) سورة آل عمران، آية ٧٩.

(٢) سورة المعارج ، آيات ١١، ١٢، ١٣، ١٤ .

ثم دل على ذهوله وفقدان وعيه حين قَدَّمَ في الفداء أحب الناس إليه، وهم بنوه. إنَّ
المستبعد هنا هو الإنجاء، وهو لم يقع.

أما الاستبعاد التوبيخي فهو أكثر مواقع الاستبعاد في القرآن الكريم، وغرضه
استنكار وقوع الشيء، والتعجب منه، وتوبيخ فاعله عليه، ومنه قوله تعالى: ((وَإِذْ
وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ)) (١) فَإِنَّ اتَّخَذَ بَنِي
إِسْرَائِيلَ الْعِجْلَ إِلَهًا لَمْ يَتَرَاحْ زَمَنُهُ. فما كاد موسى - عليه السلام - يتركهم للقاء ربه
حتى أسرعوا إلى العجل الذي أخرجهم لهم السامري فعبدوه. فالتراخي في حرف المهلة
(ثم) ليس كما يتخيله الإنسان، وإنما هو مجاز عن استبعاد العقل ووقوع عبادة العجل من
قوم كَرَّمَهُمُ اللهُ وأفاض عليهم من نعمه ما يستوجب الشكر. فالإعراض عن المنعم
يستبعده العقل وينفر منه أصحاب الفطر السليمة. ولم يكتفوا بالإعراض حتى عبدوا
العجل من دونه.

ومثله نحو قوله تعالى: ((وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ . ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ
فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ)) (٢).

فهل يمكن أن يترتب في العقل قتل وإخراج بعد معاهدة المرء ربه على أن مثله
لن يكون؟ وهل يمكن الجمع بين الإقبال على الله تعالى وإظهار القناعة والرضا وبين
نقض العهد؟ تجيء (ثم) هنا لتباعد بينهم وبين صنيع العقلاء وتكشف التناقض بين
أقوالهم وأعمالهم، حتى كأنهم أشخاص آخرون غير هؤلاء الذين أخذوا الميثاق وأقروه
وشهدوا عليه، فجمعت لهم (ثم) بين معنيين: استبعاد حدوث ذلك في حكم العقل والعادة،
وإيرازهم في صورة من تغير ذواتهم بتغير صفاتهم. قال الزمخشري (ثم أنتم
هؤلاء) استبعاد لما أسند إليهم من القتل، والإجلاء والعدوان، بعد أخذ الميثاق منهم،
وإقرارهم وشهادتهم. والمعنى: ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون، يعني أنكم قوم
آخرون، غير أولئك المقربين، تنزيلاً لتغير الصفة منزلة تغير الذات، كما نقول: رجعت
بغير الوجه الذي خرجت به) (٣).

(١) سورة البقرة، آية ٥١.

(٢) سورة البقرة، آية ٨٤، ٨٥.

(٣) الكشف، ٢٩٣/١.

ومما جاء فيه الاستبعاد، وأشاعت معاني التعجب والتوبيخ قوله تعالى: ((الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور. ثم الذين كفروا بربهم يعدلون. هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون)) (١) .

فما أبعد أن يضع المرء الكفر موضع الشكر، ويقابل الإحسان بالإساءة، وما أعجب أن يتمرد المخلوق على خالقه تجئ (ثم) هنا لتوضيح استبعاد الفعل، والتعجب من وقوعه وتوبيخ فاعله، ولتدل على قبح فعل الكافرين. ولو وقع العطف في هذا ونحوه بالواو لم يلزم التوبيخ كلزومه بـ (ثم).

التراخي الرتبي : هو التفاوت بين المتعاطفين في المنزلة، فيجعل المعطوف أرفع رتبة من المعطوف عليه - كما تقدم - ومن ذلك قوله تعالى: ((وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ)) (٢) . حيث دلت (ثم) على أن خلق الله للإنسان في هذه الصورة الجميلة هو أعظم من الخلق ذاته، وهو مجال الامتتان بما ميز الله الإنسان من حسن الهيئة والشكل وإن اشترك مع الحيوان في كونه مخلوقاً . وكأن الله تعالى أراد أن يلفت الإنسان إلى عظيم نعمته فيما أبدع من صورته. وفي التصوير شرف للإنسان على سائر صور المخلوقين.

ومن المواطن التي تبدو فيها مخالفة الأصل في الترتيب قوله تعالى: ((إِنْ مَثَلْ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)) (٣) ذلك أن خلق آدم كان بهذه الكلمة، وهي في تصور العقل أسبق بالوجود، لأن الخلق مترتب على أمر التكوين، وليس الخلق بأسبق، فتعين أن يكون الترتيب مجازياً إشارة إلى أن المعطوف أدل على قدرة الله وأعظم مما عطف عليه. فإذا كان خلق آدم من تراب عظيماً، فإن أعظم منه أن يوجد هذا الخلق العظيم بالكلمة. وهناك شبه بين خلق عيسى و آدم - عليهما السلام - وإيجادهما بغير أب، وإن كان خلق آدم أغرب لأنه خلق بغير أب وأم فشبهه الغريب بالأغرب - والله أعلم - . (٤)

(١) سورة الأنعام ، آية ٢٤١.

(٢) سورة الأعراف ، آية ١١.

(٣) سورة آل عمران ، آية ٥٩.

(٤) انظر كتاب من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم ، ١٨٨ - ٢١٤.

أربع لغات في (ثم)

ذكر النحاة أن في (ثم) أربع لغات::

١- (ثُمَّ) وهي الأصل.

٢- (فَمَّ) بإبدال التاء فاء .

٣- (ثُمْتُ) بالتاء الساكنة.

٤- (ثُمْتَ) بالتاء المتحركة.

وذهبوا إلى أن التاء في (ثُمْتُ) و(ثُمْتَ) هي تاء التانيث المتحركة (١) .

وقد وردت (ثم) فقط في القرآن الكريم ولم ترد اللغات الثلاث الأخرى، هذا ما لاحظته، كما لاحظت أن (ثُمْتُ) بالتاء المتحركة وردت في أشعار العرب، مثل قول الشاعر:

ولقد أمرُ على اللثيم يسُبُّني فَمَضَيْتُ ثُمْتُ قَلْتُ لَا يَعْنِينِي (٢)
وَمَثَلُ الْفَرَاءِ عَلَى مَجِيئِهَا فِي غَيْرِ الشَّعْرِ، نحو: قُمْتُ ثُمْتُ جَلَسْتُ (٣) .

دلالة (ثم) في الربع الأول من القرآن الكريم

تتفرع دلالة (ثم) إلى قسمين :

١- الاستبعاد ، وهو كما تقدم التباعد بين أمرين يمتنع ترتيب ثانيهما على أولهما. وقد قصد القرآن هذه الدلالة في الربع الأول في خمسة وعشرين موضعاً (٤) جاءت لإبراز المفارقة والتناقض بين موقفين، ولبيان أن المعطوف غير مناسب للمعطوف عليه . وذلك نحو قوله تعالى: ((فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)) (٥) جاءت (ثم) للتنبيه على التباعد والدلالة على ما بينهما من التناقض والمفارقة وعدم التناسب. ونحو قوله تعالى: ((مَا كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ

(١) الجنى الداني ، ص ٤٣٢ ، والمساعد على تسهيل الفوائد ، ابن عقيل ، ٤٤٧/٢ .

(٢) البيت منسوب لرجل من بني سلول أنظر كتاب سبويه ٤١٦/١

(٣) معاني القرآن للفراء ج ٢/ ٢٣٦ .

(٤) الآيات هي: البقرة/ ٦٤ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٩٢ ، ١٩٩ ، ٢٦٢ ، آل عمران/ ٢٣ ، ٥٩ ، ٧٩ ، ١١١

المائدة/ ٣٢ ، ٧٥ ، ٩٣ (مرتين) الأنعام/ ١ ، ٢ مرتين ، ٨ ، ١١ ، ٤٦ ، ٦٤ ، ١٥٤ .

(٥) سورة البقرة ، آية ٧٩ .

والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله^(١) جاءت (ثم) للتببيه على ما بين الأمرين من التباعد المعنوي، ويلاحظ أن العطف في هذه الآية الكريمة من عطف الفعل على الفعل.

ويأتي التعجب أحياناً من عناد أهل الباطل أمام وضوح آيات الله تعالى، كما في قوله: ((انْظُرْ كَيْفَ نَبِّئُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ))^(٢) ونحو قوله تعالى: ((الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا يربهم يعدلون))^(٣) ونحو قوله تعالى: ((انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ))^(٤)

٢- الدلالة على البعد المعنوي: وهي دلالة التدرج في درجة الارتقاء: بمعنى أن المعطوف قد تكون مرتبته أعلى من المعطوف عليه أو أدنى منه، فتستعمل (ثم) لأداء هذه الدلالة ، وذلك نحو:

أ) الدلالة على أن المعطوف أعلى في المرتبة من المعطوف عليه، وقد وقع هذا في الربع الأول من القرآن الكريم في عشرة مواضع.^(٥)

وذلك نحو قوله تعالى: ((الَّذِينَ يَنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنْأً وَلَا أذى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ))^(٦) .

فقد دلت (ثم) هنا على التفاوت بين إنفاق الأموال في سبيل الله وترك المن والأذى ، وأن تركهما خير وأعلى رتبة من الإنفاق نفسه .

ب) الدلالة على أن المعطوف أدنى في المرتبة من المعطوف عليه، ولم تقع (ثم) في الربع الأول لأداء هذه الدلالة .

(ثم) في الربع الأول من القرآن الكريم :

وردت (ثم) في (٧٨) موضعاً في الربع الأول من القرآن الكريم، وفيما يلي أقدم جدولاً يوضح ورودها في كل سورة من سور الربع الأول :

(١) سورة آل عمران ، آية ٧٩ .

(٢) سورة المائدة ، آية ٧٥ .

(٣) سورة الأنعام ، آية ١ .

(٤) سورة الأنعام ، آية ٤٦ .

(٥) الآيات هي: البقرة/ ٨٤، ١٩٩، ٢٦٢ - آل عمران/ ٥٩، ١١١ - المائدة/ ٩٣ (مرتين) - الأنعام/ ٨، ١١٤، ١٥٤ .

(٦) سورة البقرة ، آية ٢٦٢ .

اسم السورة	عدد مرات ورود الحرف (ثم)
الفاتحة	-
البقرة	٢٦
آل عمران	١٢
النساء	١١
المائدة	٨
الأنعام	٢١
المجموع الكلي	٧٨

وصف وتحليل لاستعمال (ثم) في الربع الأول من القرآن الكريم
وردت (ثم) (٧٨) مرة في الربع الأول من القرآن الكريم، ولم ترد في أي موضع منها عاطفة اسماً مفرداً على اسم مفرد، وإنما جاءت عاطفة للجمل والأفعال كما يلي: جاءت عاطفة فعلاً مضارعاً منصوباً على فعل مضارع منصوب في موضعين هما قوله تعالى: ((مَا كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ))^(١) والموضع الثاني. قوله تعالى: ((فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً))^(٢)
- جاءت عاطفة فعلاً مضارعاً مجزوماً على فعل مضارع مجزوم في موضع واحد، وهو قوله تعالى: ((فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ))^(٣).

- جاءت عاطفة فعلاً مضارعاً مجزوماً على فعل الشرط المضارع المجزوم في ثلاثة مواضع؛ وهي قوله تعالى: ((...وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ

(١) سورة آل عمران، آية ٧٩.

(٢) سورة النساء، آية ٦٥.

(٣) سورة آل عمران، آية ٦١.

ورسوله ثُمَّ يَرْكُحُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ)) (١) وقوله تعالى : ((وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهُ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا)) (٢) وقوله تعالى : ((وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا)) (٣) .

وفي معظم المواضع التي جاءت فيها (ثم) عاطفة للجملة كانت الجملة المعطوف عليها جملة لا محل لها من الإعراب. وقد كانت (ثم) في معظم آيات القرآن الكريم دالة على الترتيب والتراخي في الزمان، وذلك نحو قوله تعالى:

- ((وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا)) (٤) .
- ((كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)) (٥) .
- ((كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)) (٦)
- ((فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ)) (٧)
- ((وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا)) (٨) .
- ((وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ)) (٩) .

-
- (١) سورة النساء ، آية ١٠٠ .
 - (٢) سورة النساء ، آية ١١٠ .
 - (٣) سورة النساء ، آية ١١٢ .
 - (٤) سورة النساء ، آية ١١٢ .
 - (٥) سورة الأنعام ، آية ٥٤ .
 - (٦) سورة البقرة ، آية ٢٨ .
 - (٧) سورة البقرة ، آية ٢٥٩ .
 - (٨) سورة البقرة ، آية ٢٥٩ .
 - (٩) سورة الأنعام ، آية ١٦٤ .

الْفَضْلُ الثَّالِثُ حَتَّى

دلالته:

قال ابن مالك.

بعضاً بحتى اعطف على كل، ولا يكون إلا غاية الذي تلا
الدلالة على أن المعطوف بلغ الغاية في الزيادة أو النقص بالنسبة للمعطوف
عليه سواء أكانت الغاية حسية أم معنوية، محمودة أم مذمومة . ذلك نحو: لم يخل
الغني بالمال حتى الآلاف، ولم يقصر في العبادة حتى التهجّد.
العطف بـ (حتى) قليل. والكوفيون ينكرونه، ويجيزه البصريون ويقولون إنها
تكون للعطف نحو قدم الجيش حتى الأتباع. بخلاف الكوفيّين الذين يعربون ما بعد حتى
بإضمار.

ويبدو، أنها لا تكون عاطفة إلا نادراً ، والذي يؤيد قولي هذا، أنني تتبعت الربع
الأول من القرآن الكريم، ولم أجد (حتى) عاطفة. وقيل لم ترد في القرآن الكريم كله
عاطفة .

شروط العطف بـ (حتى)

هناك شروط للعطف بـ (حتى):

أولاً: أن يكون المعطوف بها اسماً، ولا يصح أن يكون فعلاً، ولا حرفاً، ولا جملة،
وذلك نحو : جاء الناس حتى الوزير ولا يصح جاء الناس حتى تعبوا.
ثانياً: أن يكون المعطوف بها اسماً ظاهراً لا ضميراً، وصريحاً لا مؤولاً؛ فلا يجوز قام
الناس حتى أنا. ولا يجوز: أحب المقالات الأدبية حتى أن أقرأ الصحف، ويجوز حتى
قراءة الصحف.
ثالثاً: أن يكون المعطوف بعضاً من المعطوف عليه؛ ومثال ذلك بالتحقيق نحو: أكلت
السّمكة حتى رأسها.

ومثال البعض بالتأويل نحو: أعجبني العصفور حتى لوئه ولا يصح حتى فرخه، وأعجبني الجارية حتى حديثها ولا يصح حتى جارتها، ونحو قول الشاعر أبي مروان النحوي (١) :

أَلْقَى الصَّحِيفَةَ كَيْ يُخَفِّفَ رَحْلَهُ وَالزُّرَادَ حَتَّى نَعْلُهُ أَلْقَاهَا

والشاهد (حتى نعله) بالنصب، حيث إنه يشترط في العطف بـ (حتى) أن يكون المعطوف بعض المعطوف عليه، والتأويل هنا في المعطوف عليه، فإن ما قبلها في تأويل ألقى ما يتقله وأن النعل بعض ما يتقله ويضعف حركته.

وردت (نعله) بالرفع على أن (حتى) ابتدائية، و(نعله) مبتدأ وجملة (ألقاها) في محل رفع خبر المبتدأ.

ووردت (حتى نعله) ، باعتبار (حتى) حرف غاية وجر. ويمكن الرفع والنصب والجر كذلك في قولك : (أكلت السمكة حتى رأسها ، رأسها ، رأسها) .

رابعاً: كونه غاية في زيادة حسية نحو : الغني يهب الأعداد الكثيرة حتى الألوف. أو معنوية نحو: مات الناس حتى الأنبياء (٢) .

أحكام خاصة بـ (حتى):

أن العطف بـ (حتى) لمطلق الجمع، كواو العطف عند عدم القرينة، مثل: صليت الفرائض الخمس حتى المغرب (٣) .

ومن أحكامها إعادة حرف الجر وجوباً بعد (حتى) ما لم يتعين العطف، إذا عطف بها آخر شيء والمعطوف مجرور، نحو مررت بالقوم حتى يزيد. وقول الشاعر: (٤) .

جُودٌ يُمْنَاكَ قَاضٍ فِي الْخَلْقِ حَتَّى بَائِسٌ دَانَ بِالْإِسَاءَةِ دِينَنَا

(١) حكى الأخفش عن عيسى بن عمر أن هذا البيت من كلام أبي مروان النحوي بقوله في قصة المثلث، وفراره من عمرو بن هند، وكان عمرو بن هند قد كتب له كتاباً إلى عامله يأمره فيه بقتله، وأوهم المثلث أنه أمر له في هذا الكتاب بعتاء عظيم، ففتحته وقرأه ولمّا علم ما فيه رمى به في النهر. ونسب البعض البيت للمثلث وهو جرير بن عبد المسيح. (انظر شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام الأنصاري تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م ، ص ٣٠٤ ، والجني الداني ص ٥٤٧)

(٢) النحر الوافي ٣ / ٥٨٠ - ٥٨٢ .

(٣) ذكر الزمخشري أن (حتى) تكون للترتيب وليس للجمع .

(٤) لم يعرف قائله ، انظر المساعد على تسهيل الفوائد ، ابن عقيل ص ٤٥٣ .

قال ابن هشام في المغني : (وهو حسن ورده أبو حيان، وقال في المثال: هي جارة، إذ لا يشترط في تالي الجارة أن يكون بعضاً أو كـبعض ، بخلاف العاطفة، ولهذا منعوا: (أعجبتي الجارية حتى ولدها. قال : وهي في البيت محتملة)^(١) . وفي إعادة الجار، قال ابن عصفور: الأحسن إعادة الجار، ليقع الفرق بين العاطفة والجارة.

دلالات أخرى لـ (حتى)

هناك دلالات أخرى لـ (حتى) غير العطف ^(٢) ، ومن ذلك:

١- أن تكون حرفاً جاراً على جهة الغاية بمعنى (إلى) نحو: سرت حتى الليل ، تريد إلى الليل. ونحو قوله تعالى: (سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ)^(٣) وقوله تعالى: ((لَيْسَ جَنَّةٌ حَتَّى حِينٍ))^(٤) أي: إلى طلوع الشمس، وإلى حين. والفرق بين (حتى) و(إلى) :

- اشتراط أن يكون شيئاً ينتهي به المذكور أو عنده، بخلاف (إلى)، تقول نمتُ البارحة إلى منتصف الليل، وامتنع حتى منتصف الليل.
- إن (حتى) لا تدخل على مضمّر فلا يقال: حتّاه، ويقال إليه.
- إن (حتى) لا تقع بعد (من) لابتداء الغاية، فلا يقال: خرجت من البصرة حتى الكوفة، ويقال: خرجت من البصرة إلى الكوفة.

٢- أن تكون حرف ابتداء، أي حرفاً تبدأ بعده الجمل أي، تستأنف، فيدخل على الجملة الاسمية، مثل قول جرير:

فَمَا زَالَتْ الْقَتْلَى تَمْجُ دِمَاعَهَا بِدَجَلَةٍ حَتَّى مَاءِ دِجَلَةٍ أَشْكَلُ

وعندما تدخل على الجملة الاسمية، لابد من ذكر الخبر صريحاً أو تقديرأ، فالأول نحو: ضربت القوم حتى زيدُ والثاني نحو: أكلت السمكة حتى رأسها ، بالرفع، فالتقدير: حتى رأسها مأكول.

(١) مغني اللبيب ١ / ١٤٧.

(٢) كتاب الألفية ٢١٤ - ٢١٦.

(٣) سورة القدر، آية ٥.

(٤) سورة يوسف ، آية ٣٥.

وتدخل على الفعلية التي فعلها مضارع كقراءة نافع - رحمه الله - ((حَتَّى يَقُولُ الرسولُ))^(١) برفع يَقُولُ. وعلى الفعلية التي فعلها ماضٍ نحو ((حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا))^(٢) وقال ابن مالك أن (حتى) هذه جارة وأن بعدها أن مضمرة .

٣- أن تكون ناصبة للفعل المستقبل بمعنيين :

بمعنى (كي) نحو قولك : سرت حتى أدخل المدينة أي: كي أدخل المدينة.

وبمعنى (إلى أن) نحو: وقفت حتى تطلع الشمس، أي إلى أن تطلع الشمس.

وفي هذا البيت اجتمعت دلالات (حتى) العاطفة والابتدائية والجارّة:

أَلْقَى الصَّحِيفَةَ كَيْ يُخَفِّفَ رَحْلَهُ وَالزَّيَّادَ، حَتَّى نَعْلَهُ أَلْقَاهُ

وذلك بنصب ورفع وجر (نعله)

وفي (حَتَّى) ثلاث لغات: المشهورة (حَتَّى) وإبدال حائها عيناً وهي لغة هذيلية، وبها

قرأ ابن مسعود ((لَيْشَجُنَّهٗ عَتَى حِينَ))^(٣) وإمالة ألفها وهي لغة يمنية^(٤) .

حتى لم تقع عاطفة في الربع الأول من القرآن الكريم

وردت (حتى) في الربع الأول من القرآن الكريم (٣٨) مرة، ولكنها لم تكن عاطفة

ألبتة، وإنما كانت تحمل دلالات أخرى غير العطف، وفيما يلي أقدم جدولاً يوضح عدد

مرات ورودها في كل سورة من سور الربع الأول:

اسم السورة	عدد مرات ورود الحرف (حتى) وفي غير عاطفة
الفاتحة	-
البقرة	١٥
آل عمران	٤
النساء	٨
المائدة	٢
الأنعام	٩
المجموع الكلي	٣٨

كما تقدم أن حتى لم ترد عاطفة في القرآن الكريم وإنما وردت لدلالات أخرى.

(١) سورة البقرة ، آية ٢١٤ .

(٢) سورة الأعراف ، آية ٩٥ .

(٣) سورة يوسف ، آية ٣٥ .

(٤) الجني الداني ، ص ٥٥٨

الفصل الرابع

أو

دلالات (أو)

قال ابن مالك

خَيْرٌ، أَيْخَ، قَسَمَ بِأَوْ وَأَبْهَمَ وَأَشْكُكُ، وَاضْرَابَ بِهَا أَيْضاً نُمِي

الأصل في (أو) أنها لأحد الشيئين أو الأشياء سواء دخلت بين اسمين نحو: جاعني زيد أو عمرو أو بين فعلين نحو قوله تعالى: ((اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ))^(١) ونحو كُلِّ السَّمَكِ أو اشرب اللبن. وقد تدخل على أكثر من شيئين نحو قوله تعالى: ((فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ))^(٢) فالواجب أحد الأشياء المذكورة في الآية الكريمة.

(أو) حرف يستعمل في الغالب للعطف، وله معانٍ كثيرة يحددها السياق وحده، فبعض المعنى المناسب لكل موضع. ومن معاني (أو):

(أ) التخيير، نحو: تزوج هنداً أو أختها، ادرس الطب أو الهندسة. إذ لا يجوز الجمع بين الاثنين، أي بين زواج هند وأختها، لأن الإسلام يمنع ذلك. وبين دراسة الطب والهندسة، لأن قوانين الجامعة تمنع ذلك.

و(أو) هنا تقع بعد الطلب، وقبل ما يمتنع فيه الجمع.

(ب) الإباحة: (أو) هنا تقع بعد الطلب، وقبل ما يجوز فيه الجمع، نحو: جالس العلماء أو الزهاد، وتعلم الفقه أو النحو، وهنا يجوز لك أن تفعل شيئاً واحداً، ويجوز أن تجمع بين الاثنين معاً، أي بين مجالسة العلماء والزهاد، وبين تعليم الفقه والنحو. وليس هناك ما يمنع من الجمع بين الاثنين. وإذا دخلت لا الناهية امتنع فعل الجميع نحو قوله تعالى: ((وَلَا تُطْعَمُ مِنْهُمْ إِنَّمَا أَوْ كَفُورًا))^(٣) أي لَا تُطْعَمُ أَحَدُهُمَا.

(١) سورة التوبة، آية ٨٠.

(٢) سورة المائدة، آية ٨٩.

(٣) سورة الإنسان، ٢٤.

والفرق بين الإباحة والتخيير أن الإباحة لا تمنع الجمع بين الشئيين والتخيير يمنع ذلك.

(ج) الشك: وهذا إذا كان المتكلم شاكاً في الأمر ، كمن رأى بعض المخنثين فقال : رأيت رجلاً أو امرأة. ونحو قوله تعالى عن أصحاب الكهف ((لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ))^(١) ، ونحو قولك : قضيت في السباحة أربعين دقيقةً أو خمسين .

(د) الإبهام: والفرق بين الشك والإبهام، أن الشك من جهة المتكلم، والإبهام على السامع. ومثال الإبهام نحو قوله تعالى: ((وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ))^(٢) . والمراد بالإبهام أن يخفي المتكلم الحقيقة المعروفة له، ويكتُمها عن المخاطب بطريقة خاصة ، قد يكون القصد منها عدم إثارتها ، أو إقلاقه ، أو الكذب عليه ، فالحكم عند الإبهام معلوم عند المتكلم دون المخاطب بخلاف الشك، فإن المتكلم والمخاطب مستويان في شأن الأمر المشكوك فيه ^(٣) .

(هـ) الجمع المطلق كالواو، وهذا مذهب الكوفيين والأخفش واحتجوا بقول توبة ^(٤) :
وَقَدْ زَعَمْتُ لَيْلَىٰ بِأَنِّي فَاجِرٌ
لِنَفْسِي تُقَاهَا أَوْ عَلَيْهَا فُجُورُهَا
أراد الشاعر وعليها فجورها. وقيل (أو) هنا للإبهام .

وقول جرير:

جَاءَ الْخِلَافَةُ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدْرًا | كَمَا أَتَىٰ رَبَّهُ مُوسَىٰ عَلَىٰ قَدَرٍ
والمراد (وكانت له قدرًا). وجاءت في ديوان جرير (إذ كانت) وفي رواية أخرى (نَالَ الْخِلَافَةَ)
وقول النابغة :

قَالَتْ : أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا | إِلَىٰ حَمَامَاتِنَا أَوْ نِصْفَهُ فَقَدْ
فَحَسِبُوهُ قَالْفَوْهُ كَمَا ذَكَرَتْ | سِتًّا وَسِتِّينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدْ
أراد الشاعر (ونصفه فقد) . في بعض النسخ (تسعاً وتسعين).

(١) سورة الكهف ، آية ١٩ .

(٢) سورة سبأ ، آية ٢٤ .

(٣) النحو الوافي ٦٠٣/٣ - ٦٠٥ .

(٤) الشاعر توبة بن الحمير، من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، كان يقول الأشعار في صاحبته ليلي الإخيلية بنت عبدالله بن الرحالة بن كعب بن معاوية. وكان كثير الغارة على بني الحارث ابن كعب وهمدان. (الشعر والشعراء ج١، ابن قتيبة ٣٥٦ - ٣٥٨).

ونذكر صاحب الأزهية أن (أو) تكون بمعنى واو النسق في الآيات الكريمة الآتية: ((وَلَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ))^(١) إلى آخر الآية . وقوله تعالى: ((إِلَّا لِيُعْلَمَنَّ أَوْ أَبَاهُ))^(٢) إلى آخرها . وقوله تعالى: ((عَذْرَاءُ أَوْ نَذْرًا))^(٣) وقوله تعالى: ((لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى))^(٤) وقوله تعالى: ((أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ))^(٥) .

(و) التقسيم: نحو (الكلمة اسم أو فعل أو حرف) ونحو (الفعل ماضٍ أو مضارع أو أمر) ، وهذا يعني أن الكلمة تنقسم إلى اسم وفعل وحرف ، وأن الفعل ينقسم إلى ماضٍ ومضارع وأمر. وقد عدل عنه في التسهيل وشرحه فقال : تأتي للتفريق المجرد من الشك والإبهام والتخيير .

(ز) الإضراب (بمعنى بل) وهو في اللغة الكف والترك والإعراض . يقال أضرب السجين عن الطعام أي امتنع عنه. وهو عند النحاة إثبات الحكم لما بعد حرف العطف بنقله مما قبله وذلك كقوله تعالى عن يونس عليه السلام: ((وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ آلَافٍ أَوْ يُزِيدُونَ))^(٦) أي بل يزيدون. وقوله تعالى : ((فِيهَا كَالِحَجَارَةٍ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً))^(٧) ((وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ))^(٨) ((فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ))^(٩) . وقيل يجوز أن تكون في هذه المواضع بمعنى واو النسق .

وقد جاء في النحو الوافي أنه يحسن في الأسلوب المشتمل على (أو) التي تفيد الإضراب أن يحوي أمرين معاً أولهما : أن يسبقهما نفي أو نهي وثانيهما : تكرار العامل ومثل بالآتي: (ما زارني عمر، أو ما زارني أخي)، (ولا يخرج حامد، أو لا يخرج إبراهيم). وقال المراد: بل ما زارني أخي - بل لا يخرج إبراهيم^(١٠) .

(١) سورة النور، آية ٦١.

(٢) سورة النور ، آية ٣١.

(٣) سورة المرسلات، آية ٦.

(٤) سورة طه ، آية ٤٤ .

(٥) سورة البقرة ، آية ١٩.

(٦) سورة الصافات ، آية ١٤٧.

(٧) سورة البقرة ، آية ٧٤.

(٨) سورة النحل ، آية ٧٧.

(٩) سورة النجم ، آية ٩.

(١٠) النحو الوافي ٣ / ٦٠٧ - ٦٠٨.

وقد وردت (أو) التي تفيد الإضراب في القرآن الكريم دون هذين الأمرين.
(ح) التبويض نحو قوله تعالى: ((وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى))^(١) وهنا جاءت (أو) لأحد الشيئين. حيث يقول اليهود: كونوا هوداً. ويقول النصارى: كونوا نصارى. ولا يمكن أن يكون الإنسان يهودياً ونصرانياً في وقت واحد.

(ط) أن تكون بمعنى (ولا) كقول الشاعر^(٢) :

مَا وَجَدْتُكَ كَمَا وَجَدْتُ وَلَا وَجَدْتُ عَجُولَ أَضْلَاهَا رَبُّعُ
أَوْ وَجَدْتُ شَيْخَ أَضْلَى نَاقَتِهِ يَوْمَ تَوَافَى الْحَجِيجُ فَأَنْدَقَعُوا

أراد : ولا وَجَدْتُ شَيْخَ. و(العجول) الناقة التي فقدت ولدها.

(ي) أن تكون بمعنى (إلا أن) في الاستثناء ، نحو: لأقتلنك أو تسلم، أي إلا أن تسلم.
ونحو قوله تعالى: ((لَنُخْرِجَنَّكَ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا))^(٣) أي إلا أن تعودن.

ومثل قول زياد بن الأعجم^(٤) :

وَكُنْتُ إِذَا غَمَزْتُ قَنَاءَ قَوْمٍ كَسَرْتُ كُعُوبَهَا أَوْ تَسْتَقِيمًا

يريد: إلا أن تستقيم.

(ك) أن تكون بمعنى (إلى) : وهي التي ينصب المضارع بعدها بأن مُضْمَرَةً، نحو:
لألزمناك أو تقضييني حقي، وقول الشاعر^(٥) :

لَأَسْتَسْهَلَنَّ الصَّعْبَ أَوْ أُدْرِكَ الْمُنَى فَمَا انْقَادَتِ الْأَمَالُ إِلَّا لِصَابِرٍ

المراد: لأستسهل الصعب إلى أن أدرك المنى.

(ل) أن تكون (أو) بمعنى (حتى) نحو : كُلُّ أَوْ تَسْبِعْ، تريد حتى تسبع، والزم زياداً أو يعطيك، أي حتى يعطيك.

(١) سورة البقرة ، آية ١٣٥.

(٢) قال صاحب الأزهية : الشاعر هو مالك بن حريم في رثاء أخيه سمّاك، وجاء في الجني الداني أن الشاعر هو مالك بن عمرو القضاعي .

(٣) سورة إبراهيم ، آية ١٣.

(٤) هو زياد بن سلمى، ويقال زياد بن جابر بن عمرو بن عامر بن عبد القيس، شهد فتح اصطخر مع أبي موسى الأشعري وهو أحد شعراء الدولة الأموية، وكانت فيه لكمة، فلذلك قيل له الأعجم. (الشعر والشعراء ج١ ابن قتيبة ٣٤٣ - ٣٤٥).

(٥) هذا البيت قد استشهد به كثير من النحاة، ولم يُنسب إلى قائل معين ، مغنى اللبيب ٧٩/١ .

ونحو قوله تعالى: ((لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ))^(١) بنصب (يتوب) بـ (أو) لأنها بمعنى (حتى). وقيل في هذه الآية بمعنى (إلا أن) أي إلا أن يتوب عليهم. ومثل قول امرئ القيس:

بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ وَأَيُّقَنَ أَنَا لِأَحِقَّانِ بَقِيصًا رَا
فَقُلْتُ لَهُ: لَا تَبْكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا نَحْلُولُ مُلْكًا أَوْ نَمُوتُ فَتَعْذَرَا

فنصب (أو نموت) على معنى (حتى نموت) وإلا أن نموت.

(م) أن تكون (أو) عطفاً بعد الاستفهام بالالف و(هل) لأحد الشيئين أو الأشياء، نحو أقام محمدٌ أو خالدٌ تريد: أقام أحدهما. ونحو: أَلَقِيْتَ مُحَمَّدًا أَوْ خَالِدًا وهل عندك محمدٌ أو خالدٌ أو عليٌّ؟ تريد: هل عندك أحد هؤلاء؟ ونحو: هل تجلس أو تقوم - بين الفعلين - ونحو قوله تعالى: ((هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يُضُرُّونَ))^(٢) يعني هل يكون منهم أحد هذه الأشياء؟

ونحو قوله تعالى: ((هَلْ تَحْسِبُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا))^(٣) ونحو قوله تعالى: ((أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ))^(٤).

(ن) أن تكون (أو) لتبيين النوع، نحو: ما أكلت إلا تمرًا أو زبيبًا. ونحو قوله تعالى: ((قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ))^(٥) وقوله تعالى: ((وَلَا تَطِغْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا))^{(٦) (٧)}.

وقد تحذف (أو) كما تقول لمن قال: أكل السمك واللبن: كُلْ سَمَكًا لَبَنًا، أي: أو لبنًا، وذلك لقيام القرينة على أن المراد أحدهما.^(٨)

(١) سورة آل عمران، آية ١٢٨.

(٢) سورة الشعراء، آية ٧٢، ٧٣.

(٣) سورة مريم، آية ٩٨.

(٤) سورة الزخرف، آية ٤٠.

(٥) سورة الذاريات، آية ٥٢.

(٦) سورة الإنسان، آية ٢٤.

(٧) النحو الوافي ٣/ ٦٠٣ - ٦٠٩، التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل للنجاشي ٢/ ١٧٩ - ١٨١، مغني

الليبيب ١/ ٧٤ - ٨٠.

(٨) شرح الرضي على الكافية، تعليق يوسف حسن عمر ط ٢، ١٩٩٦م. بنغازي ٢/ ٣٤٩.

هذا هو حرف العطف (أو) بمعانيه الكثيرة، ودلالاته المتنوعة، وهذه المعاني والدلالات خاضعة في إدراكها ومعرفتها للسياق والقرائن خضوعاً تاماً، وقد نجد بعض الخلافات بين النحاة والمفسرين في تفسير دلالة (أو) الواقعة في الآيات القرآنية الكريمة والأدب العربي، ولتفادي هذه الخلافات ينبغي التفكير والتدبر في المعاني والدلالات وربطها بالسياق والقرائن الدالة عليها.

ولا أظن أن هنالك حرفاً في لغة من لغات العالم يحمل مثل ما يحمل (أو) من المعاني في العربية، إنها حقاً لغة القرآن، ولغة أهل الجنة في الجنة .

الفرق بين (أو) و(أم).

كثير من الناس لا يفرق بين استعمالات (أو) و(أم) في الكلام. وهناك فروق يجب معرفتها والإلمام بها:

أولاً: (أو) للسؤال عن شيء بغير عينه. والجواب فيها (نعم) أو (لا)، بخلاف (أم) التي تكون للسؤال عن شيء بعينه، والجواب فيها ذكر أحد الشيئين.
مثلاً: أقام زيدٌ أو عمرو؟ الجواب (نعم) أو (لا) وذلك لأنه لا يعلم أقام أحدهما أو لم يقم، والسؤال عن قيام أحدهما، هل وقع القيام أم لا؟ ولا يجوز أن تجيب: زيد، أو عمرو.

وإذا قيل: أقام زيد أم عمرو؟ فالجواب: زيد، أو عمرو، لأن القيام وقع والاستفهام عن القائم، ولا يجوز أن تقول (نعم) أو (لا). ومثله:
(أتقوم أو تقعد) الجواب (نعم) أو (لا).
(أتقوم أم تقعد) الجواب (أقوم) أو (أقعد).

ثانياً: إذا وقع (سواء) قبل همزة الاستفهام كان العطف بـ (أم) سواء أكان ما بعدها اسماً أو فعلاً نحو سواء علي أم محمد في البيت أم خالد - سواء علي أقممت أم قعدت.
ثالثاً: إذا لم يقع بعد سواء همزة الاستفهام، فلا يخلو إمّا أن يقع بعده اسمان أو فعлан.
أ/ فإن وقع بعده اسمان كان العطف بالواو، نحو: سواء علي زيد و عمر، وفي القرآن الكريم ((سَوَاءٌ مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ)) (١).

ب/ وإن وقع بعده فعلان من غير استفهام، نحو سواء علي قمت أو قعدت، كان العطف بـ (أو) لأنه يصير بمعنى الجزاء.

(١) سورة الجاثية، آية ٢١.

رابعاً: وإن كان بعد (سواء) مصدران، نحو: سواء علي قيامك وقعودك، كان العطف بالواو.

وعند سيبويه يجوز العطف بالواو بعد (ما أدري) و(ليت شعري) و(ما أبالي).
وأما وجوه المشابهة بين (أم) و(أو) فثلاثة: الحرفية، والعطفية، وأنها لأحد الشيئين أو الأشياء ^(١).

أما الفرق بين (أو) و(إمّا)، فقد ذكر ابن أبي الربيع الفرق من جهة اللفظ من وجهين:

أحدهما: أن إمّا لا تستعمل إلاً مكررة. و(أو) لا تكرر.
الثاني: أن (إمّا) تلازم حرف العطف. و(أو) لا يدخل عليها حرف العطف ^(٢).

المعاني الدلالية التي تفيدها (أو) في القرآن الكريم.

١- التخيير:

لقد أوضحنا معنى التخيير، وعرفنا أن الفرق بينه وبين الإباحة هو امتناع الجمع فيه بين المتعاطفين، وجواز ذلك في الإباحة. وقد جاءت (أو) بمعنى التخيير في مواضع، منها قوله تعالى ((وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها)) ^(٣).
هناك تخيير بين رد التحية بأحسن منها أو بردها. ونحو قوله تعالى ((فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ)) ^(٤) في هذه الآية الكريمة تخيير بين ثلاثة أشياء للإنسان المريض أو الذي به أذى من رأسه.
ونحو قوله تعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا تَبَاتٍ أَوْ انْفِرُوا جَمِيعًا)) ^(٥).

وقد لاحظت أن أغلب ما جاء في التخيير هنا كان في مقام التشريع وبيان الأحكام.

(١) الأشباه والنظائر في النحو ، ٩٩/٤ ، ١٠٠.

(٢) الأشباه والنظائر ١٠٢/٤ ، ١٠٣.

(٣) سورة النساء ، آية ٨٦.

(٤) سورة البقرة ، آية ١٩٦.

(٥) سورة النساء ، آية ٧١.

حيث يجوز لك أن تفعل شيئاً واحداً ويجوز الجمع بين شيئين. وذلك نحو قوله تعالى ((فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ)) (١) . ونحو قوله تعالى ((وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمَنا عَلَيْهِم شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَائِلَ أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ)) (٢) . قال الزمخشري في تفسير الآية الأولى: (أو) معناها الإباحة، وأنه إن كان أحدهما أو كلاهما قدّم على قِسْمَةِ الميراث... ولذلك جيء بكلمة (أو) للتسوية بينهما في الوجوب (٣) .

وقال الزمخشري في تفسير الآية الأخرى (حَرَّمَ عَلَيْهِم لَحْمَ كُلِّ ذِي ظَفَرٍ وَشَحْمِهِ، وَكُلِّ شَيْءٍ مِنْهُ، وَتَرَكَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ عَلَى التَّحْلِيلِ، لَمْ يَحْرَمْ مِنْهُمَا إِلَّا الشُّحُومَ الْخَالِصَةَ... و(أو) بمنزلتها في قولهم: جالس الحسن أو ابن سيرين (٤) .

٣- التقسيم:

وذلك نحو: الفعل ماضٍ أو مضارع أو أمر. وهذا يعني أن الفعل ينقسم إلى ماضٍ ومضارع وأمر. وإن المعنى الوظيفي لـ (أو) هو التسوية بين متعاطفيها في صلاحية كل منهما للاستقلال بالحكم. وإن استعمال (أو) في سياق التقسيم يجعل الأقسام متساوية في صلاحية كل منهما للاستقلال بحكم المُقَسَّم، وعندما نقول: الكلمة اسم أو فعل أو حرف . كان المعنى: يستوي الاسم والفعل والحرف في الدخول في قِسْمَةِ الكلمة. ومعلوم أن الواو صالحة لأداء معنى التقسيم، فنقول الكلمة اسم وفعل وحرف. إلا أن التسوية بالواو أعم من التسوية بـ(أو) لأنها لا تفيد أكثر من الجمع بين الأقسام في الدخول تحت المُقَسَّم، واعتقد أن هذا هو تفسير صلاحية استعمال الواو في تقسيم الكل إلى أجزائه دون (أو).

إن الواو تكون لمطلق الجمع، ولا تفيد بحالة واحدة، أو بزمان واحد، أما (أو) فلا تصلح للاستعمال هنا، لأنها تفيد التسوية بين الأقسام في صلاحية كل واحد منها للاستقلال بحكم المُقَسَّم ، كما مر ذلك .

(١) سورة النساء ، آية ١١.

(٢) سورة الأنعام ، آية ١٤٦.

(٣) الكشاف ، ٥٠٨/١ ، ٥٨/٢.

(٤) الكشاف ، ٥٨/٢.

و(إمّا) تشارك (أو) في هذا إلا أنها تزيد عليها بجعل التسوية مانعة للجمع والخلو، نحو: الكلمة إما اسم وإما فعل وإما حرف.
ومن التقسيم بـ (أو) في القرآن الكريم قوله تعالى: ((وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى)) (١) .

إذ المعنى : وقالت اليهود: كونوا هوداً، وقالت النصارى: كونوا نصارى (٢) .
ونحو قوله تعالى: ((كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ)) (٣) . إذ المعنى

وقال بعضهم: ساحر وقال بعضهم: مجنون. (فالو) فيها لتفصيل الإجمال في (قالوا) (٤)
ومن الواضح أن المتعاطفين بـ(أو) في الآيتين لا يجوز اجتماعهما في حالة واحدة.
٤- الإبهام:

تقدم الفرق بين الشك والإبهام، بأن الشك من جهة المتكلم، والإبهام من جهة السامع، وقد أورد النحاة في معنى الإبهام قوله تعالى: ((قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ)) (٥) وقوله تعالى: ((قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ. قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ)) (٦) . وقوله تعالى: ((قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)) (٧) . وهذا يعني: (أن أحد الفرقين من الذين يوحدون الرازق من السماوات والأرض بالعبادة ، ومن الذين يشركون بالجماد الذي لا يوصف بالقدرة، لعلّ أحد الأمرين من الهدى والضلال. وهذا من الكلام المتّصف الذي كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خاطب به: قد أنصفك صاحبك. وفي درجة بعد تقدمة ما قدم من التقرير البليغ دلالة غير خفية على من هو من الفرقين على الهدى، ومن هو في الضلال المبين، ولكن التعريض والتورية أفضل بالمجادل إلى الغرض ، وأهجم به على الغلبة، مع قلة شغب الخصم وفل شكوته

(١) سورة البقرة ، آية ١٣٥ .

(٢) مغني اللبيب ، ٧٨/١ .

(٣) سورة الذاريات ، آية ٥٢ .

(٤) مغني اللبيب ، ٧٨ / ١ .

(٥) سورة الكهف ، آية ١٩ .

(٦) سورة المؤمنون، آية ١١٢، ١١٣ .

(٧) سورة سبأ ، آية ٢٤ .

بالهويناء، ونحوه قول الرجل لصاحبه، عليم الله الصادق مني ومنك وأن أخذنا الكاذب^(١)
٥- بيان شمول الحكم.

يستعمل القرآن الكريم التسوية بـ (أو) في بعض المواضع لبيان أن الحكم يشمل كل الأحوال، فيجري الحكم على أحوال قد يتوهم المتلقي خروجها عن ذلك الحكم، ثم يسوي بين تلك الأحوال بـ (أو) ، وذلك نحو قوله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولوعلى أنفسكم أو الوالدين والأقربين))^(٢)

تأمر الآية الكريمة المؤمنين بأن يكونوا قوامين بالقسط شهداء لله في كل الأحوال، وتذكر الآية ثلاث حالات، هي الغاية في تطبيق الشهادة العادلة، الشهادة على النفس، وعلى الوالدين، وعلى الأقربين.

والمعنى: أدوا الشهادة عادلة مهما تكن الأحوال ، وهنا دلالة على الشمول.

٦- التسوية بين فروض لتعليقها بحكم

وهذا المعنى يفهم عند جعل التسوية بـ (أو) في جملة الشرط، وجعل الجزاء حكماً تتعلق به هذه التسوية. ومن ذلك قوله تعالى: ((وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً))^(٣) .
والتسوية في هذه الآية الكريمة واضحة، للمسلم المريض أو المسافر أو الذي جاء من الغائط أو الذي كان جنباً، هؤلاء يجوز لهم التيمم في حالة عدم وجود الماء.^(٤)

(أو) في الربع الأول من القرآن الكريم

وردت (أو) في الربع الأول من القرآن الكريم في (١٠٦) موضع . وفيما يلي أقدم جدولاً يوضح عدد مرات ورودها في كل سورة من سور الربع الأول:

(١) الكشاف ٢٨٨/٣ ، ٢٨٩ .

(٢) سورة النساء، آية ١٣٥ .

(٣) سورة النساء ، آية ٤٣ ، سورة المائدة، آية ٦ .

(٤) انظر أساليب العطف في القرآن الكريم (رسالة ماجستير) ، مصطفى عمر حميدة، ص ٢٠١ - ٢٣٧ .

اسم السورة	عدد مرات وروء الحرف (أو)
الفاتحة	-
البقرة	٣٠
آل عمران	١٢
النساء	٣٣
المائدة	١٥
الأنعام	١٦
المجموع الكلي	١٠٦

وردت (أو) - كما ذكرت - في الربع الأول في (١٠٦) موضع، وقد اختلفت استعمالاتها من حيث الشكل الخارجي للتركيب، وحاولت تحديد أكثر هذه الأنماط استعمالاً على النحو التالي:

أولاً: وقوع (أو) عاطفة فعل أمر على فعل أمر:

جاءت (أو) على هذا النمط في (٦) مواضع من الربع الأول هي: قوله تعالى: ((وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ))^(١).
- ((وَلْيَعْلَمِ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ))^(٢).

- ((ولو أنا كتبنا عليهم أن يقتلوا أنفسهم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم))^(٣).

- ((يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً))^(٤).

- ((وَإِذَا حَبِيتُمْ بِبَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوْهَا))^(٥).

- ((سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَالُونَ لِلْسَحَابِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ))^(٦).

(١) سورة البقرة ، آية ٢٣١.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٦٧.

(٣) سورة النساء ، آية ٦٦.

(٤) سورة النساء ، آية ٧١.

(٥) سورة النساء ، آية ٨٦.

(٦) سورة المائدة ، آية ٤٢.

ثانياً: وقوع (أو) عاطفة بعد أمر له جواب :

جاءت (أو) على هذا النمط في موضع واحد ، هو قوله تعالى: ((وإذا طلقتم النساء فبلغهن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضراً لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه))^(١) .

ثالثاً: وقوع (أو) عاطفة فعلاً ماضياً على فعل ماضٍ:

جاءت (أو) على هذا النمط في (١٩) موضعاً من الربع الأول^(٢) ، منها قوله تعالى: ((ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا))^(٣) ومثل : ((ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء))^(٤) .

رابعاً: وقوع (أو) عاطفة فعلاً مضارعاً على فعل مضارع:

جاءت (أو) على هذا النمط في (٢٣) موضعاً^(٥) من الربع الأول ، منها قول الله تعالى: ((ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها))^(٦) وقوله تعالى: ((لو لا يكلمنا الله أو تأتينا آية))^(٧) .

خامساً: وقوع (أو) عاطفة حالاً على حال:

جاءت (أو) على هذا النمط في ثلاثة مواضع من الربع الأول ، هي: ((فإن خفتهم فرجالاً أو ركبناً فإذا أمنتهم فاذكروا الله))^(٨) وقوله تعالى: ((ولا تساموا أن تكتبوه صغييراً أو كبيراً إلى أجله))^(٩) . وقوله تعالى: ((قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله بغتةً أو جهرةً هل يهلك إلا القوم الظالمون))^(١٠) .

سادساً: وقوع (أو) عاطفة في داخل تركيب نهي أو تنبي:

(١) سورة البقرة ، آية ٢٢١ .

(٢) الآيات هي : البقرة الآيات: ١٥٨ ، ٢٣٥ ، ٢٧٠ ، ٢٨٦ ، آل عمران الآيات: ١٣٥ ، ١٤٤ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ .

النساء الآيات: ٧ ، ٤٣ (مرتين) ، ١٠٢ . المائدة: ٦ (مرتين) ، الأنعام : ٢١ ، ٤٠ ، ٩٣ ، ١٥٨ .

(٣) سورة البقرة . آية ٢٨٦ .

(٤) سورة الأنعام ، آية ٩٣ .

(٥) الآيات هي البقرة: ١٠٦ ، ١١٨ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٨٤ ، آل عمران: ٢٩ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، النساء: ١٥ ، ٤٧ ،

٧٤ ، ٩٠ ، ١١٠ ، ١٣٥ ، ١٤٩ (مرتين) المائدة : ٣٣ (ثلاث مرات) الأنعام : ٦٥ ، ١٥٨ (مرتين) .

(٦) سورة البقرة ، آية ١٠٦ .

(٧) سورة البقرة ، آية ١١٨ .

(٨) سورة البقرة ، آية ٢٣٩ .

(٩) سورة البقرة ، آية ٢٨٢ .

(١٠) سورة الأنعام، آية ٤٧ .

جاء هذا النمط مرتين في الربع الأول، هما:

قوله تعالى: ((فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ))^(١) . وقوله تعالى: ((رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا))^(٢) .

سابعاً: وقوع (أو) داخل تركيب الاستفهام:

جاء ذلك في (٨) مواضع^(٣) ، منها قوله تعالى: ((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ...))^(٤) . وقوله تعالى: ((وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَئِنَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ...))^(٥) .

(١) سورة البقرة ، آية ٢٨٢ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٨٦ .

(٣) الآيات هي: البقرة: ٢٥٩ ، آل عمران: ١٤٤ ، الأنعام: ٢١ ، ٤٠ ، ٤٧ ، ٩٣ ، ١٥٨ (مرتين) .

(٤) سورة الأنعام ، آية ٩٣ .

(٥) سورة آل عمران ، آية ١٤٤ .

الفصل الخامس

أم

قال ابن مالك:

و(أم) بها اعطف إثر همزة التسوية
أم نوعان: متصلة ومنقطعة (منفصلة).
أم المتصلة

هي المسبوقة بكلام مشتمل على:

- أ- همزة التسوية ، أو
- ب- همزة الاستفهام يراد منها ومن (أم) التعيين
وهذا يعني أن (أم) المتصلة قسمان:
- القسم الأول: (أم) المتصلة بهمزة التسوية، وهي الداخلة على جملة في محل المصدر،
وتكون هي والمعطوف عليها:

- فعليتين نحو قوله تعالى: ((سواءٌ عليهنَّ أنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ))^(١) .

- أو اسميتين، نحو قول الشاعر

ولستُ أبالي بعدَ فقدي مالكا أموتى ناءٍ أم هو الآن واقع^(٢)

- أو مختلفتين، نحو قوله تعالى: ((سواءٌ عليكم أَدْعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ))^(٣) .
والتقدير : سواء عليكم دعاؤكم إياهم وصمتكم.

وليس من اللازم أن تكون همزة التسوية مسبوقة بكلمة سواء، فقد يُغني عنها ما
يدل دلالتها في التسوية نحو (ما أبالي) أو ما يشبهها نحو (ليت شعري ، ما أدري ، لا
أعلم) كما قال بعض النحاة^(٤) .

(١) سورة البقرة ، آية ٦ ، سورة يس ، آية ١٠ .

(٢) متمم بن نويرة، من ثعلبة بن يربوع يرثي أخاه مالكا ولقد رثي أيضاً زيد بن الخطاب لأخيه عمر ابن الخطاب. وكان لمتمم ابنان: إبراهيم وداود وكانا شاعرين خطيبين. (الشعر والشعراء ج١، ابن قتيبة ٢٥٤-٢٥٧).

(٣) سورة الأعراف ، آية ١٩٣ .

(٤) النحو الوافي ٣ / ٥٨٨، ٥٨٩ . وكتاب شرح عيون الإعراب ، لعلي بن فضال المجاشعي ، ص ٢٧٥ .

ومما سبق يتضح أن (أم) المتصلة المسبوقة بهمزة التسوية لا تعطف إلا جملة على جملة، ولا تعطف المفردات إلا نادراً ولا يقاس عليه.

وسميت (متصلة) لأن ما قبلها وما بعدها لا تستغني بأحدهما عن الآخر، كما في الأمثلة. وتسمى أيضاً (معادلة) لمعادلتها للهمزة في إفادة التسوية في النوع الأول والاستفهام في النوع الثاني.

القسم الثاني: أم المسبوقة بهمزة التعيين: وهي تكون متوسطة بين شيئين ينسب لواحد غير معين منهما أمر يعلمه المتكلم، ولكنه لا يعلم صاحبه منهما. وقبلهما معاً همزة استفهام، يراد منها ومن (أم) تعيين أحد هذين الشيئين، وذلك نحو: أخالّد جاء أم محمد. ويكون الجواب تعيين أحد الشيئين؛ (خالد) أو (محمد). ولا يصح الإجابة بـ(نعم) أو (لا). الفرق بين (أم) التي بعد همزة التسوية

و(أم) التي يراد بها وبهمزة الاستفهام التعيين

- ١- أن الواقعة بعد همزة التسوية جواب، بخلاف الأخرى التي تحتاج إلى جواب.
- ٢- أن الكلام بعد همزة التسوية قابل للتصديق والتكذيب إذ هو خبر، بخلاف الأخرى، فإن الكلام إنشائي.

٣- أن الواقعة بعد همزة التسوية لا بد من أن تقع بين جملتين بخلاف الأخرى التي تكون بين الجمل أو المفردات أو بين مفرد وجملة.

٤- أن الجملتين اللتين تتوسطهما (أم) الواقعة بعد همزة التسوية لا بد أن تكونا في تأويل مفردين، بخلاف اللتين تتوسطهما (أم) الأخرى، فلا يصح تأويل واحدة منهما بمفرد (١).

يجوز حذف همزة التسوية إذا أمن اللبس، نحو: سواء علي الكسول، نجح أم رسب كما يمكن حذفها في الهمزة الأخرى، نحو قول الشاعر:

وَاللّٰهُ مَا أَدْرِى وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًّا بِسَبْعِ رَمَيْنِ الْجَمْرَ أَمْ بِثَمَانٍ (٢)

وتحذف - نادراً - أم المتصلة مع محذوفها، كقول الشاعر أبي ذؤيب الهذلي:

دعاني إليها القلب إنني لأمره سميع، فما أدري أرشد طلائها
يريد: أم غي.

(١) النحو الوافي ٣ / ٥٩٤ - ٥٩٥.

(٢) الشاعر: عمر بن ربيعة المخزومي.

ويحوز حذف المعطوف عليه قبلها، كما في قوله تعالى: ((أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ...))^(١).

والتقدير: أعلمتم أن دخول الجنة يسير أم حسبتم أن تدخلوا الجنة^(٢).

أم المنقطعة (المنفصلة)

هي التي تقع - في الغالب - بين جملتين مستقلتين في معناهما لكل منهما معنى خاص يخالف الأخرى، ولذلك سميت بـ (أم) المنقطعة أو المنفصلة. معناها: الإضراب، وتكون في هذا بمعنى (بل). وعلامتها: لا تقع بعد همزة التسوية ولا بعد همزة الاستفهام التي يطلب بها و بـ (أم) التعيين. وإنما تقع بعد الآتي.

١- الخبر المحض، نحو قوله تعالى: ((وَإِذَا نَتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ. أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ))^(٣) أي بل يقولون افتراه. فقد وقعت بين جملتين هما (هذا سحر مبين) و (يقولون افتراه) وكل واحدة مستقلة بمعناها عن الأخرى.

٢- تقع بعد أداة الاستفهام غير الهمزة. نحو قوله تعالى: ((هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ. أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ))^(٤).

٣- أن تقع بعد همزة الاستفهام غير الحقيقي، أي الإنكاري نحو قوله تعالى: ((أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا، أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبِطُّشُونَ بِهَا، أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا، أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا))^(٥).

٤- أن تقع بعد همزة الاستفهام التقريرية، نحو قوله تعالى: ((أَفَلَا قُلُوبُهُمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ...))^(٦).

(١) سورة آل عمران، آية ١٤٢.

(٢) النحر الوافي ٦٣٩/٣.

(٣) سورة الأحقاف، آية ٨٠، ٨١.

(٤) سورة الرعد، آية ١٦.

(٥) سورة الأعراف، آية ١٩٥.

(٦) سورة التور، آية ٥٠.

فكلمة (أم) في جميع الأنواع السابقة منقطعة بمعنى (بل) والراجع ألا تكون (أم) المنقطعة عاطفة وإنما هي حرف ابتداء يفيد الإضراب (١) .

وقد ذكر ابن الصائغ في (تذكرته) الفرق بين (أم) المتصلة والمنقطعة من سبعة أوجه.

فالمتصلة تقدر بأي، ولا تقع إلا بعد استفهام والجواب فيها اسم معين، لا (نعم) أو (لا) ، ويقدر الكلام بها واحداً. والإضراب فيها، وما بعدها معطوف على ما قبلها لا لازم الرفع بإضمار مبتدأ. وتقتضي المعادلة وهي أن يكون حرف الاستفهام يلي الاسم و(أم) كذلك. والفعل بينهما نحو زيداً ضربته أم عمراً، فزيّد وعمرو مستفهم عنهما. ولو سألت عن الفعل لقلت: أضربت زيداً أم قتلت. (٢) .

(أم) في الربع الأول من القرآن الكريم

وردت (أم) في الربع الأول من القرآن الكريم - بقسميها - في (١٦) موضعاً وفي (٧) مواضع كانت متصلة، و(٩) مواضع كانت منقطعة. وفيما يلي أقدم جدولاً يوضح ذلك.

اسم السورة	عدد المرات	أرقام آيات (أم) المتصلة	أرقام آيات (أم) المنقطعة
الفاتحة	-	-	-
البقرة	٧	٦، ١٤٠ الثانية	٨٠، ١٠٨، ١٣٣، ١١٤٠ الأولى، ٢١٤
آل عمران	١	-	١٤٢
النساء	٣	١٠٩	٥٣، ٥٤
المائدة	-	-	-
الأنعام	٥	١٤٣ (مرتين)، ١٤٤ (مرتين).	١٤٤ الأخيرة
المجموع الكلي	١٦	٧	٩

(١) النحو الوافي، ٣/٥٩٧، ٥٩٨.

(٢) الأشباه والنظائر، ٤/٩٨، ٩٩.

الآيات التي وردت فيها (أم) المتصلة هي:

- ((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ))^(١)
- ((قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ))^(٢) .
- ((هَآ أَنتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا))^(٣) .
- ((ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعِزِّ اثْنَيْنِ قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْإُنثَيْنِ أَمَّْا اسْتَمْلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإُنثَيْنِ))^(٤) .
- ((وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْإُنثَيْنِ أَمَّْا اسْتَمْلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإُنثَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا))^(٥) .

وقد لاحظت أن (أم) المتصلة التي وردت سبع مرات جاءت على الأنماط التالية:

- المرة الأولى: (أم) معادلة بين فعلين.
- المرة الثانية: (أم) معادلة بين الضمير (أنتم) ولفظ الجلالة (الله).
- المرة الثالثة: (أم) معادلة بين جملتين فعليتين.
- المرة الرابعة: (أم) معادلة بين جملة فعلية ومفرد .
- المرة الخامسة: (أم) معادلة بين مفرد وجملة فعلية.
- المرة السادسة: (أم) معادلة بين جملة فعلية ومفرد.
- المرة السابعة: (أم) معادلة بين مفرد وجملة فعلية.

الآيات التي وردت فيها (أم) المنقطعة هي:

- ((وَقَالُوا لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ اتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يَخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ))^(٦) .
- ((أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلِ))^(٧) .

(١) سورة البقرة ، آية ٦ .

(٢) سورة البقرة ، آية ١٤٠ .

(٣) سورة النساء ، آية ١٠٩ .

(٤) سورة الأنعام ، آية ١٤٣ (مرتين) .

(٥) سورة الأنعام ، آية ١٤٤ (مرتين) .

(٦) سورة البقرة ، آية ٨٠ .

(٧) سورة البقرة ، آية ١٠٨ .

- ((أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ)) (١) .
- ((أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى...)) (٢) .
- ((أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ)) (٣) .
- ((أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ)) (٤) .
- ((أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُوْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا)) (٥) .
- ((أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ...)) (٦) .
- ((...أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمْ اللَّهُ بِهَذَا...)) (٧) .

قد يحدث خلاف بين المفسرين في (أم) هل هي متصلة أم منقطعة؟ وقد لاحظت أنها وردت هنا (٩) مرات، كانت في بداية الآيات في سبع مواضع، وهذا ما يؤكد لنا أنها منقطعة لا صلة لها بما قبلها .

(١) سورة البقرة ، آية ١٣٣ .

(٢) سورة البقرة ، آية ١٤٠ .

(٣) سورة البقرة ، آية ٢١٤ .

(٤) سورة آل عمران ، آية ١٤٢ .

(٥) سورة النساء ، آية ٥٣ .

(٦) سورة النساء ، آية ٥٤ .

(٧) سورة الأنعام ، آية ١٤٤ .

الْقَضَائِمُ السَّالِسُ

إِمَّا

قال ابن مالك:

ومثّل (أو) في القصد (إمّا) الثانية

في نحو: (إمّا ذي وإمّا النائية)

هل (إمّا) حرف عطف؟

اختلف النحاة في (إمّا) ، هل هي حرف عطف أم لا ؟ ، ولا خلاف بينهم في أن

(إمّا) الأولى غير عاطفة، لأنه لا يسبقها معطوف مطلقاً ^(١) .

القول الأول: (إمّا) حرف عطف:

(إمّا) حرف من حروف العطف عند أكثر النحويين، والقليل منهم رفض ذلك .

وقد عدها سيبويه من حروف العطف، واستدل الرماني ^(٢) على أنها عاطفة بأن الواو

للجمع، والكلام لأحد الشيئين وهذا ليس من اختصاص الواو، والتي عطفت أحد الشيئين

هي (إمّا) وليست الواو . وأرى أن هذا الكلام مقبول ، وذلك لأن الواو تأتي لمطلق

الجمع وليست لأحد الشيئين.

وهؤلاء يقولون: إن (إمّا) عطفت الاسم على الاسم وإن (الواو) عطفت (إمّا)

على (إمّا) في نحو قولك: جاعني إمّا محمد وإمّا خالد.

القول الثاني: (إمّا) ليست حرف عطف:

(إمّا) ليست حرف عطف عند بعض النحويين ، ومن هؤلاء يونس وابن كيسان

والزجاج وأبو علي الفارسي وقالوا إنها ذكرت في باب العطف لمصاحبتها لحروفه،

واستدلوا على رأيهم - أنها غير عاطفة - بأنها تقترن بواو العطف، ولا يجتمع حرفا

عطف ^(٣) ، وتابع هذا الرأي جماعة من المتأخرين.

(١) الجني الداني، ٥٣٠.

(٢) المرجع السابق، ٥٢٨ - ٥٢٩.

(٣) الأشباه والنظائر ج٤، ١٠٢ - ١٠٣.

قال ابن السراج: (واعلم أن حروف العطف لا يدخل بعضها على بعض، فإن وجدت ذلك في كلام فقد أخرج أحدهما من حروف النسق. وذلك مثل قولهم: لم يقم عمرو ولا زيد، الواو نسق، (ولا) تأكيد للنفي) (١).

أما عالمنا سيبويه فإنه لم يأت برأي قاطع في هذه القضية، إلا أنه جعل درسه لـ (إما) في كتابه ضمن درسه لحروف العطف (٢).

وأرى أنه عند الكلام عن باب العطف فإننا نهتم بالجانب اللفظي فيه، وهو قرينة المطابقة في العلامة الإعرابية بين المتعاطفين، وعرفنا أن العاطف هو الحرف المتوسط بين التابع والمتبوع، والمعطوف هو تابع يتوسط بينه وبين متبوعه أحد الحروف العشرة. وجميع هذه الأشياء تنطبق على (إما) الثانية، ويمكن القول إن (إما) الثانية حرف من حروف العطف.

ويبدو لي أنه لا مانع من دخول عاطف على عاطف مادام لكل منهما وظيفته الخاصة التي تؤديها. وإذا حذف (إما) الثانية وتركت الواو، هل يستقيم المعنى؟ اعتقد : لا.

دلالات (إما) الثانية

تأتي (إما) الثانية لمعان ، منها:

أولاً: الشك، وتكون بمعنى (أو) نحو: رأيت إما محمداً وإما خالدًا. ونحو قوله تعالى: ((وَأَخْرُوجْ مَرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ)) (٣). وقيل (إما) في هذه الآية للإبهام.

ثانياً: الإبهام، وذلك نحو قوله تعالى: ((وَأَخْرُوجْ مَرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ)) (٤).

ثالثاً: التخيير، وذلك نحو قوله تعالى: ((إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا)) (٥). ونحو قوله تعالى: ((إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ)) (٦).

رابعاً: الإباحة، نحو تعلم إما فقها وإما نحواً، وجالس إما الحسن وإما ابن سيرين.

(١) الأصول في النحو ، ٢ / ٥٩.

(٢) الكتاب لسبويه. ١ / ٢١٣.

(٣) سورة التوبة، آية ١٠٦.

(٤) سورة التوبة ، آية ١٠٦.

(٥) سورة الكهف ، آية ٨٦ .

(٦) سورة الأعراف، آية ١١٥.

خامساً: التفصيل، نحو قوله تعالى: ((إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا))^(١) .

(إما) في الربع الأول من القرآن الكريم:

وردت (إما) مرتين في الربع الأول من القرآن الكريم، ولكنها ليست عاطفة، والمرتان هما:

أ) قوله تعالى: ((قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم))^(٢) .

ب) قوله تعالى: ((وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ))^(٣) .
ويلاحظ أنها لم ترد مكررة - (إما... وإما...) - .

و(إما) في الموضعين مركبة من (إن) الشرطية و(ما) الصلة المؤكدة.

(١) سورة الإنسان ، آية ٣.

(٢) سورة البقرة ، آية ٣٨.

(٣) سورة الأنعام ، آية ٦٨.

الفصل الثاني

بل

قال ابن مالك :

و (بل) كَلَّكْنْ بعد مصحوبيها كَلَّمْ أَكُنْ في مَرْتَبِ بَلْ تِيهَا

المعنى الوظيفي لـ (بل)

ذكر النحاة أن (بل) تفيد الإضراب .

وقال سيبويه (وأما (بل) فلتترك شيء من الكلام وأخذ في غيره) (١) .

وقد ذكر سيبويه معنى وظيفياً آخر لـ (بل) ، هو الاستدراك نحو: مررتُ

برجلٍ راعٍ بل ساجِدٍ. ولهذا قال بعضهم إن (بل) حرف إضراب واستدراك .

وقال الرماني: عن (بل) : (معناها الإضراب عن الأول، والإيجاب للثاني، نقول

من ذلك ما قام زيدٌ بل عمرو، وخرج أخوك بل أبوك، تقع بعد النفي والإيجاب جميعاً،

هذا مذهب البصريين ، وأما الكوفيون فلا يجيزون أن تقع بعد الإيجاب، وإنما تقع

عندهم بعد النفي أو ما يجري مجراه) (٢) .

بل العاطفة

تكون (بل) عاطفة بشرطين:

أولاً: أن يكون معطوفها مفرداً، نحو: قام زيدٌ بل عمرو.

ثانياً: أن تسبق بإيجاب أو أمر أو نفي أو نهي.

والإيجاب نحو: قامَ زيدٌ بل عمرو.

والأمر نحو: وليقمَ زيدٌ بل عمرو.

ومعنى (بل) بعد الإيجاب والأمر سلب الحكم عما قبلها وجعله لما بعدها. أي

سلب الحكم من (زيد) وجعله لـ (عمرو).

والنفي نحو: ما قام زيدٌ بل عمرو.

(١) الكتاب لسيبويه ٣٠٦/٢.

(٢) معاني الحروف، للرماني ٩٤ .

والنهي نحو: لا يَقم زيد بل عمرو.

ومعنى (بل) بعد النفي والنهي تقرير حكم ما قبلها وجعل ضده لما بعدها.
وأجاز المبرد كونها ناقلة معنى النفي والنهي لما بعدها. ومذهب الجمهور أنها لا تفيد نقل حكم ما قبلها لما بعدها إلا بعد الإيجاب والأمر، نحو (قام زيد بل عمرو) و(اضرب زيدا بل عمرواً) ^(١).

بل غير العاطفة

إذا دخلت (بل) على جملة تكون غير عاطفة ، وذكر القليل من النحاة أنها تكون عاطفة ، وهذا رأي ضعيف.

عند دخولها على جملة يكون معناها: إما الإضراب الإبطالي وإما الإضراب الانتقالي.

الإضراب الإبطالي هو: الذي يقتضي نفي الحكم السابق والقطع بأنه غير واقع، ومدعيه كاذب، والانصراف عنه إلى حكم آخر يجئ بعدها، مثل قوله تعالى: ((وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ)) ^(٢) ، وكان الأصل: وقالوا اتخذ الرحمن ولداً. لا، فإن الذين اتخذناهم هم عباد مكرمون.

الإضراب الانتقالي هو: الذي يقتضي الانتقال من غرض قبله إلى غرض جديد بعده، مع إبقاء الحكم السابق على حاله، وعدم إلغاء ما يقتضيه، نحو قوله تعالى: ((قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى. وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى. بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى)) ^(٣) . والغرض قبل (بل) هو الطاعة، وبعدها هو حب الدنيا وتفضيل الآخرة عليها وكلاهما مقصود ^(٤).

وحكم الحرف (بل) الداخل على الجملة أنه حرف ابتداء محض يفيد الإضواء، ولا يصح اعتباره حرف عطف، فالجملة بعده مستقلة في إعرابها عما قبلها.

(١) الألفية لابن مالك. ١٨٣/٢ - ١٨٤.

(٢) سورة الأنبياء، آية ٢٦.

(٣) سورة الأعلى ، آية ١٤، ١٥، ١٦، ١٧.

(٤) النحو الوافي، ٦٢٣/٣ - ٦٢٤.

أهم المعاني الدلالية التي يفيدها الإضراب الانتقالي

إن المعنى الوظيفي الذي تؤديه (بل) في القرآن الكريم هو الإضراب عما قبلها، وإثبات ما بعدها على سبيل اليقين والتحقيق. وإن هذا المعنى هو نفسه العلاقة السياقية التي نقيمها (بل) بين ما قبلها وما بعدها عن طريق الربط بينهما.

إن المعنى الدلالي العام للإضراب الانتقالي في (بل) هو الانتقال إلى ما هو أهم وأجدر بالذكر على جهة اليقين والتحقيق، وهذا المعنى تتفرع منه معانٍ دلالية متعددة وتتمايز، ولكنها تحمل جميعاً في طياتها دلالة المعنى الأصلي، ومن هذه المعاني الدلالية: المعنى الأول: الانتقال إلى ما هو أبلغ في الوصف:

وهو أن يكون المعنى الوارد بعد (بل) أدل على الاتصاف بالوصف المقصود من المعنى الوارد قبلها، أو على تجاوز الحد في الاتصاف به: وهذا المعنى هو أكثر معاني الإضراب الانتقالي استعمالاً في القرآن الكريم. ومنه قوله تعالى: ((وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ))^(١). قال الزمخشري: (فلما ذكر كفرهم بالإشياء أضرب عنه إلى ما هو أبلغ في الكفر وهو أنهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة، لا بالإشياء وحده).^(٢) ومنه قوله تعالى: ((أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ. سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ. بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذًى وَأَمْرٌ))^(٣). انتقل من تلك الأقوال إلى أمر الساعة التي عذابها أشد عليهم من كل هزيمة وقتال.

المعنى الثاني: الانتقال إلى ما هو أعجب

ويكون هذا المعنى في سياق ما يحكيه القرآن من أقوال المعاندين، أو ما يصفه من أفعالهم، ثم يجيء الإضراب بـ(بل) للانتقال إلى ذكر أقوال أو أفعال صدرت عنهم تعد أعجب وأغرب مما سبق ذكره قبل (بل) وذلك نحو قوله تعالى: ((وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا. أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا. تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قَصُورًا. بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا))^(٤)

(١) سورة السجدة، آية ١٠.

(٢) الكشاف ٢٤٢/٣، ٤١/٤.

(٣) سورة القمر، آيات ٤٤، ٤٥، ٤٦.

(٤) سورة الفرقان، آيات ٨، ٩، ١٠، ١١.

قال الزمخشري: (بل كذبوا) عطف على ما حكى عنهم يقول: أتوا بأعجب من ذلك كله، وهو تكذيبهم بالساعة. ^(١) وكذلك قوله تعالى: ((فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ. كَانَهُمْ حُمُرٌ مَّسْتَفِرَّةً. فَزَيَّنُوا مِنْ قَسْوَرَةٍ. بَلْ يَرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَرَةً)) ^(٢). قال الشيخ عبد القادر المغربي: (ثم وصف الوحي من حال أولئك المكذبين ما هو أشد غرابة من حالة إعراضهم عن القرآن... كأنه يقول: دَعُ عَنْكَ ذِكْرَ إعراضهم وغبائهم ونفارهم مما فيه خيرهم وسعادتهم وهداهم . واستمع، ماهو أعجب وأغرب؛ ذلك أنهم (يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة) مكان القرآن... ولا ريب أن هذا الاقتراح والاشتراط في تصديقهم بالقرآن وبالنبى عليه السلام أغرب من إعراضهم عن سماع القرآن. ومن ثَمَّ عطف جملة (يريد كل امرئ منهم) على ما قبلها بـ(بل) التي تفيد الإضراب والانتقال إلى ما هو أهم وأجدر بالذكر ^(٣) .

المعنى الثالث: الانتقال من جدل الخصم إلى إثبات القول الفصل فيه:
وذلك نحو قوله تعالى: ((أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ)) ^(٤) .
ونحو قوله تعالى: ((قُلْ مَنْ يَكْلُوكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ)) ^(٥)

ونحو قوله تعالى: ((وَلَوْ أَنَّ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)) ^(٦) .

المعنى الرابع: الانتقال من كلام إلى بيان سببه .

لقد جاءت (بل) بياناً لسبب حدوث ما قبلها، وذلك نحو قوله تعالى: ((وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ. فَلَمَّا جَاءَ سَلِيمَانُ قَالَ أَتَمَدُّونَ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ)) ^(٧) .

(١) الكشاف ٨٣/٣ .

(٢) سورة المدثر، آية ٥٩، ٥٠، ٥١، ٥٢ .

(٣) انظر تفسير جزء تبارك للشيخ / عبد القادر المغربي ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٦٦هـ — ١٩٤٧م ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

(٤) سورة الأنبياء، آية ٢٤ .

(٥) سورة الأنبياء، آية ٤٢ .

(٦) سورة لقمان ، آية ٢٥ .

(٧) سورة النمل ، آية ٣٥، ٣٦ .

قال الزمخشري: (فإن قلت: فما وجه الإضراب؟ قلت: لما أنكر عليهم الإمداد وَعَلَّلَ إنكاره أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذي حملهم عليه. وهو أنهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح إلا أن يُهْدَى إليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها) ^(١).
هذه أهم المعاني الدلالية التي يفيدها الإضراب الانتقالي ^(٢).

(بل) في الربع الأول من القرآن الكريم

وردت (بل) في الربع الأول من القرآن الكريم (١٧) مرة، وكانت كلها غير عاطفة، وهذا الجدول يوضح ورودها وعدد مراتها:

عدد مرات ورود (بل) وهي غير عاطفة.	اسم السورة
-	الفاتحة
٧	البقرة
٣	آل عمران
٣	النساء
٢	المائدة
٢	الأنعام
١٧	المجموع الكلي

- الآيات التي في سورة البقرة هي قوله تعالى:
- ((وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ... (٨٨)).
 - ((بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ... (١٠٠)).
 - ((وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ (١١٦)).
 - ((قُلْ بَلْ مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا... (١٣٥)).

(١) الكشاف ١٤٨/٣.

(٢) انظر أساليب العطف في القرآن الكريم، مصطفى عمر حميدة ٣٢٠ - ٣٣١.

- ((وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (١٥٤)).
- ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا (١٧٠)).
- ((قَالَ لَيْسَتْ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَيْسَتْ مِائَةَ عَامٍ (٢٥٩)).

وفي سورة آل عمران :

- ((بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (١٥٠)).
- ((وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩)).
- ((وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ... (١٨٠)).

وفي سورة النساء:

- ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يَزْكِي مَنْ يَشَاءُ... (٤٩)).
- ((وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ... (١٥٥)).
- ((وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ... (١٥٨)).

وفي سورة المائدة:

- ((قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ... (١٨)).
- ((وَلَعِنُوا يَمَّا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ... (٦٤)).

وفي سورة الأنعام:

- ((بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ... (٢٨)).
 - ((بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ... (٤١)).
- ألاحظ أن ما جاء بعد (بل) كان جملة، وأحياناً تكون الجملة مقدرة، نحو قوله تعالى: ((وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا))^(١)، ذكر المفسرون : بل نتبع ملة إبراهيم^(٢) أو بل اتبعوا ملة إبراهيم، أو بل عليكم ملة إبراهيم^(٣).

(١) سورة البقرة ، آية ١٣٥.

(٢) مشكل إعراب القرآن ، مكي بن أبي طالب ، تحقيق حاتم صالح الضامن ، نشر وزارة الإعلام العراقية ،

دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٥م ج ١ ص ١١٢ .

(٣) مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ، ٥٧/١ .

وقوله تعالى: ((وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ))^(١) ، أي: ولا تقولوا هم أموات بل هم أحياء^(٢) ، أو بل قولوا هم أحياء^(٣) .
وعند دراستي لمعنى (بل) في الربع الأول من القرآن الكريم، وجدت أنها تؤدي
معنى الإضراب الإبطالي^(٤) في (١٣) موضعاً والإضراب الانتقالي^(٥) في (٤)
مواقع.

(١) سورة البقرة ، آية ١٥٤ .

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن جـ ١ ، أبو البركان الأنباري . تحقيق د . طه عبد الحميد طه الهيئة
المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٠م ص ١٢٩ .

(٣) التبيان في إعراب القرآن ١/١٢٨ .

(٤) آيات الإضراب الإبطالي: البقرة: ٨٨ ، ١١٦ ، ١٣٥ ، ١٥٤ ، ١٧٠ ، ٢٥٩ ، آل عمران: ١٦٩ ، ١٨٠ ،
النساء/ ٤٩ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، المائدة: ١٨ ، ٦٤ .

(٥) الإضراب الانتقالي: البقرة: ١٠٠ ، آل عمران: ١٥٠ ، الأنعام: ٢٨ ، ٤١ .

الفصل الثامن

لكن

قال ابن مالك :

وأول (لكن) نفياً أو نهياً و (لا)

نداء أو أمراً أو إثباتاً تلاً

معناها :

(لكن) حرف عطف معناها الاستدراك، والاستدراك يقتضي أن يكون ما بعد أداته مخالفاً لما قبلها في حكمه المعنوي، نحو قولك: ما حضر محمدٌ لكن خالدٌ، لا تأكل الفاكهة الفجّة لكن الناضجة، لا تجالس الأشرار لكن الأخيار.

وقد فسر المحققون الاستدراك بأنه رفع التوهم الناشئ من الكلام السابق. وهذا المعنى للمخففة (لكن) والثقيلة (لكن) التي من أخوات (إن) . والذي يهمنا هنا المخففة .

شروط العطف بـ (لكن).

شروط العطف بـ (لكن) هي:

أولاً: أن يكون المعطوف به مفرداً لا جملة، نحو : ما قطفتُ الزهر لكن الثمر، ما حضر عمرٌ لكن زيدٌ.

إن لم يكن المعطوف به مفرداً كانت (لكن) حرف ابتداء واستدراك معاً، وليس عطفًا، وتكون الجملة بعده مستقلة في إعرابها عن الجملة الأولى، وذلك نحو: ما قطفتُ الزهر لكن قطفتُ الثمر.

ثانياً: ألا يكون مسبوقاً بالواو مباشرة، مثل: ما رأيتُ خالداً لكن محمداً، وإن سبقته الواو مباشرة تكون حرف استدراك وابتداء كلام، وتكون الجملة بعده اسمية أو فعلية تعطف بالواو على الجملة التي قبلها، نحو: ما رأيتُ خالداً ولكن رأيتُ محمداً، ونحو: ليس الطالب من يهمل ولكن الطالب من يجتهد.

ثالثاً: أن تكون مسبوقة بنفي أو نهى. ومثال النفي: ما حضر أخوك لكن أبوك. ومثال النهي: لا تصاحب الأشرار لكن الأخيار. وإن لم تسبق بذلك كانت حرف ابتداء واستدراك. (١)

(١) النحو الوافي ٢/ ٦١٦ - ٦١٧. والمساعد على تسهيل القوائد ، ابن عقيل ، ص ٤٤٦ ، ٤٦٧ .

آراء النحاة واختلافهم في شروط العطف بـ(لكن)

من شروط العطف بها أن تسبق بنفي أو نهي - كما مرّ - وهذا هو مذهب البصريين، بخلاف الكوفيين الذين يرون العطف بها بعد الإثبات. ومن الخلافات التي بين النحاة، أن (لكن) إذا وقعت بعد جملة، ليست عاطفة عند الجمهور، بل هي حرف ابتداء، ولقد أجاز ابن أبي الربيع^(١) وغيره، مستدلاً بقول زهير^(٢) :

إن ابن ورقاء لا تُخْشَى بَوَائِرُهُ لَكِنْ غَوَائِلُهُ فِي الْحَرْبِ تُنْتَظَرُ

الشاهد فيه: مجئ (لكن) حرف ابتداء لا حرف عطف، لكون الواقع بعدها جملة من مبتدأ وخبر.

وجاء في المغني اختلاف العلماء في (ما قام زيد ولكن عمرو) على أربعة آراء، أحدها ليونس: أن (لكن) غير عاطفة، والواو عاطفة مفرداً على مفرد، والثاني لابن مالك: أن (لكن) غير عاطفة والواو عاطفة لجملة حذف بعضها على جملة صرح بجميعها، إذ التقدير: ولكن قام عمرو. والثالث لابن عصفور: أن (لكن) عاطفة والواو زائدة لازمة. والرابع لابن كيسان: أن (لكن) عاطفة والواو زائدة غير لازمة.

(لكن) في الربع الأول من القرآن الكريم

وردت (لكن) في (٢١) موضعاً في الربع الأول من القرآن الكريم، (١٨) موضعاً كانت مسبوقه بالواو و(٣) مواضع لم تسبق بالواو. وفيما يلي أقدم جدولاً يوضح ذلك.

(١) هو عبدالله بن أحمد الأموي. توفي سنة ثمان وثمانين وستمائة. له كتاب: الأنصاح بفوائد الإيضاح.
(٢) هو زهير بن أبي سلمى، وينسبونه إلى مَريَنة، وإنما نسبته في غطفان. كان زهير راوية أوس بن حجر، وهو صاحب المعلقة، عاش في الجاهلية ولم يدرك الإسلام، وأدركه ابنه كعب وبجير وأسلماء، وكان زهير أستاذ الحطيئة (الشعر والشعراء، لابن قتيبة ١/ ٧٦ - ٨٨).

عدد مرات (لكن) المسبوقة بالواو.	اسم السورة
—	الفاتحة
٨	البقرة
٣	آل عمران
٢	النساء
٣	المائدة
٢	الأنعام
١٨	المجموع الكلي

أما (لكن) غير المسبوقة بالواو فقد وردت ثلاث مرات:

- ((لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ))^(١).
 - ((لَكِنَّ الرَّاكِبِينَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ))^(٢).
 - ((لَكِنَّ اللَّهَ يُشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا))^(٣).
- ألاحظ أن (لكن) غير المسبوقة بالواو وردت في هذه الآيات الثلاث في بدايتها ولم تكن في الوسط.
- ولم يتقدمها نفى أو نهى . وهذا يؤيد مذهب الجمهور أنها حرف ابتداء لمجرد إفادة الاستدراك.

أما (ولكن) المسبوقة بالواو، فقد كان ورودها على النحو التالي:

سورة البقرة:

- ((أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ))^(١٢).

(١) سورة آل عمران ، آية ١٩٨.

(٢) سورة النساء ، آية ١٦٢.

(٣) سورة النساء ، آية ١٦٦.

- ((...أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ۝۱۳)).
- ((وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝۵۷)).
- ((وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ۝۱۵۴)).
- ((لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۝۲۲۵)).
- ((عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ۝۲۳۵)).
- ((وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا ۝۲۵۳)).
- ((قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي ۝۲۶۰)).

سورة آل عمران:

- ((مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا... ۝۶۷)).
- ((ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ... ۝۷۹)).
- ((وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ... ۝۱۱۷)).

سورة النساء:

- ((...وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ... ۝۴۶)).
- ((وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ... ۝۱۵۷)).

سورة المائدة:

- ((مَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ... ۝۶)).
- ((وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ... ۝۴۸)).
- ((لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ... ۝۸۹)).

سورة الأنعام:

- ((قُلُوا لَا إِدَاءَ جَاءَهُمْ بِأَسْنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ... ۝۴۳)).
- ((وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝۶۹)).

وصف وتحليل لاستعمال (لكن) في الربع الأول من القرآن الكريم

بعد أن وقفت على هذه الآيات الكريمة ودرستها لاحظت الآتي:

أولاً: لم ترد (لكن) في أي موضع من تلك المواضع عاطفة للمفرد على المفرد.
ومذهب الجمهور أن (لكن) لا تكون عاطفة إلا إذا وليها مفرد وتقدمها نفي أو نهي، ولم تسبقها الواو، وإن فقد شرط من هذه الشروط فهي عندهم حرف ابتداء لمجرد إفادة الاستدراك.

وبناء على رأي جمهور النحاة يمكن القول بأن (لكن) العاطفة لم تقع في الربع الأول من القرآن الكريم، إلا أن النحاة اعتمدوا على الجانب اللفظي، والتابع والمتبوع والحركة الإعرابية، وأن العامل يعمل في المعطوف بواسطة العاطف، ولهذا منعوا (لكن) عاطفة للجملة من أن تكون عاطفة، واعتبروها ابتدائية.

ثانياً : لاحظتُ أن الأفعال التي تلت (ولكن) كان عددها (١٦) والأسماء (٢).

ثالثاً : إن القرآن الكريم وظَّف معنى الاستدراك في تلك الآيات في عمل مقابلية بين حالين، مثل حال أهل الحق وحال أهل الباطل، نحو قوله تعالى: ((لَا يَغْنَزُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ. مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَيُسَّ الْمِهَادِ. لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزِلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ)) (١).

يقابل القرآن الكريم بين ما يصيب أهل الباطل من متاع دنيوي فان، ثم يكون مصيرهم العذاب في الآخرة، وبين حال المتقين وما ينالونه من ثواب عظيم في آخرتهم.

وفي قوله تعالى: ((فَيُظْلَمُ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا. وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا. لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُوْثِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا)) (٢).

وهنا يبين القرآن الكريم ما ارتكبه اليهود من الكفر والإثم ، ويقابل حالهم بحال الراسخين في العلم منهم والمؤمنين.

وقد استعمل القرآن الكريم الاستدراك بـ (ولكن) في نفي ظلم الله سبحانه وتعالى لأهل الباطل واستدراك ذلك النفي بإثبات ظلمهم لأنفسهم. وقد ورد هذا المعنى في الربع الأول في موضعين:

- قوله تعالى: ((وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ)) (٣).
- وقوله تعالى: ((وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)) (٤).

(١) سورة آل عمران، آية ١٩٦-١٩٨.

(٢) سورة النساء ، آية ١٦٠ - ١٦٢.

(٣) سورة آل عمران، آية ١١٧.

(٤) سورة البقرة ، آية ٥٧.

الفصل التاسع

لا العاطفة

قال ابن مالك:

وأول (لكن) نفياً أو نهياً و(لا) نداء أو أمراً أو إثباتاً تلا

معناها:

(لا) حرف عطف يفيد نفي الحكم عن المعطوف بعد ثبوته للمعطوف عليه. مثل: ينجح المجتهد لا الكسول. (لا) حرف عطف ونفي، و(الكسول) معطوف على (المجتهد) والنجاح ثابت للمعطوف عليه وهو (المجتهد) وقد نفي عن المعطوف وهو الكسول.

شروط العطف بـ(لا)

لا يتم العطف بـ(لا) إلا باجتماع هذه الشروط:

أولاً: أن يكون المعطوف مفرداً لا جملة. نحو قام محمد لا خالد. وإن لم يكن المعطوف مفرداً، تعتبر (لا) حرف نفي والجملة بعدها مستقلة في إعرابها نحو: يحترم المرء بأخلاقه لا يحترم بماله.

ثانياً: أن يكون الكلام قبله موجباً لا منفيّاً، أي تسبق بإيجاب أو أمر أو نداء، نحو: هذا زيد لا عمرو، اضرب زيدا لا عمرو، يا ابن أخي لا ابن عمي.

ثالثاً: أن لا يصدق أحد متعاطفيها على الآخر، أي لا يكون أحد المتعاطفين داخلاً في مدلول الآخر، ومعدوداً من أفرادها التي يصدق عليها اسمه، فلا يجوز: أكلت تفاحاً لا فاكهة. لأن الفاكهة (وهي المعطوف) تشمل المعطوف عليه وهو (التفاح) ولا يجوز: جاعني رجل لا زيد، ويجوز جاعني رجل لا امرأة.

رابعاً: ألا تقترن (لا) العاطفة بحرف عطف آخر، لأن حرف العطف لا يدخل على حرف العطف مباشرة، وإذا حصل ذلك كانت (لا) للنفي، وكان العطف للحرف الآخر، نحو جاء ثلاثة لا بل أربعة فالعاطف هو (بل) و(لا) للنفي.

خامساً: ألا يكون ما يدخل عليها مفرداً صالحاً لأن يكون صفة لموصوف مذكور، أو لأن يكون خبراً، أو حالاً، وهنا تكون (لا) للنفي وليست للعطف، ووجب تكرارها. فمثال المفرد الصفة: هذا بيت لا قديم ولا جديد، ومثال الخبر: الغلام لا صبي ولا شاب، ومثال الحال: عرفت العاطل لا نافعاً ولا منتفعاً.^(١) وأضاف ابن هشام في المغني: أن تكون جواباً مناقضاً لنعم، وهذه تحذف الجمل بعدها كثيراً. يقال: أجائك زيد؟ فتقول: لا، والأصل: لا لم يجيئ. وهذا نص ابن أبيّة. يجوز حذف المعطوف عليه بـ (لا) مثل: محمد يتكلم... لا شراً، الأصل: محمد يتكلم خيراً لا شراً.

دلالات أخرى لـ (لا) غير العطف:

- ولـ (لا) دلالات أخرى غير العطف منها:
- النهي، نحو: لا تذهب، لا تخرج.
 - الخبر، نحو: لا أقوم ولا أذهب.
 - التبرئة، نحو: لا مال لزيد، ولا تدخل إلا على الاسم النكرة.
 - الدعاء، نحو: لا يغفر الله لفلان، لا قام زيد.
 - جواب القسم، نحو قولك: والله لا أفعل كذا وكذا. والرد في الجواب، قولك: (لا) كما نقول (نعم) و(بلى). و(لا) في الجواب ضدهما.
 - تأكيد الجحد ويكون مع واو النسق، نحو: ما قام زيد ولا عمرو.
 - الصلة، نحو قوله تعالى: ((ما منعك ألا تسجد))^(٢)، معناه: ما منعك أن تسجد. و(لا) صلة زائدة^(٣).

(لا) العاطفة لم تقع في الربع الأول من القرآن الكريم

تتبعت مواضع (لا) في الربع الأول من القرآن الكريم. فلاحظت أنها لم تقع عاطفة في أي موضع من تلك المواضع وإنما كانت تحمل دلالات أخرى غير العطف.

(١) انظر الأزهية، ١٤٩ - ١٦٢.

(٢) سورة الأعراف، آية ١٢.

(٣) النحو الوافي ٣/ ٦١٨ - ٦٢١، التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل، ٢/ ١٨٢، ١٨٣.

وكذلك ذكر السيوطي في (الإتقان) أن (لا) العاطفة و(لا) الجوابية لم تقعا في القرآن الكريم ^(١) كله، ليس في الربع الأول فقط.

وقد ذكر أبو عبيدة ^(٢) في (مجاز القرآن) في تفسيره لقوله تعالى: ((وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ)) ^(٣) أن (لا) إنما هي لمعنى الموالة تتبع الأول، وقد كان أبو عبيدة يستعمل مصطلح (الموالة) عندما يتكلم عن عطف النسق. ومعنى هذا أنه يجعل (لا) في الآية الكريمة عاطفة .

وقد وردت هذه الصيغة مرتين في الربع الأول من القرآن الكريم :
- ((إِنِّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ)) ^(٤) .

- ((إِنِّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ)) ^(٥) .

وذكر أبو البركان الأنباري والعكبري أن في رفع (فارض) وجهين:
أحدهما: أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره: لا هي فارض.
الثاني: أن يكون صفة بقرة ^(٦) .

وقال أبو عبيدة في تفسير هذه الآية أن العرب تقول لا كذا ، ولا كذا، وقد أجازوا في (ذلول) ما أجازوه في الآية الأولى.

(لا) في الربع الأول من القرآن الكريم

وردت (لا) في (٤٨١) موضعاً في الربع الأول من القرآن الكريم. وكلها ليست عاطفة وإنما جاءت لدلالات أخرى مثل: النهي، والنفي والدعاء والصلة.
والجدول الآتي يوضح عدد مرات ورود (لا) في كل سورة من سور الربع الأول، وهي ليست عاطفة.

(١) أساليب العطف في القرآن الكريم، مصطفى عمر حميدة ص ٣٧٢.

(٢) مجاز القرآن ، لأبي عبيدة. ٢ / ٢٥٠.

(٣) سورة الواقعة، آية ٣٢، ٣٣.

(٤) سورة البقرة ، آية ٦٨.

(٥) سورة البقرة ، آية ٧١.

(٦) مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ١ / ٤٤ ، مشكل إعراب القرآن ، مكي بن أبي طالب ١ / ٩٨ .

اسم السورة	عدد مرات ورود (لا) وهي ليست عاطفة.
الفاتحة	١
البقرة	١٨٠
آل عمران	٧١
النساء	٨٦
المائدة	٦١
الأنعام	٨٢
المجموع الكلي	٤٨١

وقد وردت (لا) غير العاطفة في الربع الأول لدلالات أخرى، وذلك مثل النهي نحو قوله تعالى: ((وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ))^(١) .
والنفي نحو قوله تعالى: ((أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ))^(٢) .
وقد وردت لدلالات أخرى كثيرة غير النفي والنهي.

(١) سورة البقرة، آية ٢٢٤.

(٢) سورة البقرة، آية ١٣.